

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Xⵓⵔⵏⵓⵔⵉⵙ ⵏ ⵓⵎⵓⵔⵉⵏ ⵏ ⵓⵎⵓⵔⵉⵏ ⵏ ⵓⵎⵓⵔⵉⵏ ⵏ ⵓⵎⵓⵔⵉⵏ



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

Faculté des Lettres et des Langues

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر.

السرد المعرفي والتعليمي في كتاب "تعلم كيف تتعلم" لـ "باربرا أوكللي"

إشراف الدكتور:

بشير بحري.

إعداد الطالبين:

1- العيفة العيفاوي.

2- عادل كرغلي.

لجنة المناقشة:

1 أ.د/ عيسى طيبي جامعة البويرة..... رئيسا.

2- د/ بشير بحري..... جامعة البويرة مشرفا ومقررا.

3- د/ رشيدة عابد جامعة البويرة عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 2025/2026م.

إهداء

إلى منبع العطاء والرضا، إلى من أحمل اسمه بكل فخر...

"والدي العزيز."

إلى حضن الأمان والخير، من دعت لي فاستجاب الله لدعائها...

"والدي الغالية."

إلى إخوتي وعائلتي الذين كانوا لي سنداً وعوناً في كل خطوة.

إلى أصدقائي الأوفياء الذين شاركوني رحلة العلم والكفاح.

أهديكم ثمرة هذا الجهد المتواضع.

عادل.

إهداء

{وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين}

إلى من غرسا في نفسي حبَّ العلم والاجتهاد، إلى من كان دعاؤهما نورا يبين دربي في كل خطوة؛

إلى روح أبي الطاهرة.

إلى نبع الحنان، أمي، حفظها الله.

إلى عائلتي الكبيرة، التي تشاركني لحظات الشقاء والرخاء...

إلى عائلتي الصغيرة، مصدر قوتي وعزيمتي، زوجتي وابنتي ماريا وإيناس وابني أحمد
أمير وآدم الذين كانوا خير معين ورفيق...
إلى كل من كان لهم الفضل بعد الله في دعمي ومساندتي خلال مسيرتي العلمية، أساتذتي
الأفاضل وزميلي في طريق البحث "عادل"...
إلى كل من يعرفني...
أهدي هذا العمل المتواضع، سائلاً الله أن يكون ثمرة جهدٍ خالصٍ ونافع.

العيقة.

مقدمة

مقدمة:

يُعد الخطاب التعليمي المعاصر فضاءً تقاطعياً تلتقي فيه الصرامة العلمية بمرونة البناء السردى، إذ لم تعد المعرفة العلمية، باعتبارها موضوعاً للدراسة، مجرد تراكم للمعلومات التقنية، بل أضحت منظومة إدراكية تتطلب قوالب لغوية وسردية قادرة على تحويل التعقيد المعرفي إلى ممارسة إنسانية ملموسة.

في هذا السياق، يبرز كتاب الأستاذة باربرا أوكللي "تعلم كيف تتعلم" كنموذج متفرد في "سردنة العلم"، حيث لا يكتفي النص بتقديم نظريات حول وظائف الدماغ أو آليات التعلم، وإنما يعمد إلى بناء "استراتيجيات سردية" و"أنساق خطابية" تدمج القارئ في عملية إنتاج المعرفة. وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة في تفكيك الآليات التي اعتمدتها أوكللي للعبور بالمتعلم من مرحلة "التلقي السلبي" للمعلومة العلمية إلى مرحلة "التلقي الإيجابي" و"التمثل الإجرائي" لها، وهذا يجعل من الكتاب نصاً تعليمياً وسردياً في آن واحد.

وجاء اختيارنا لهذا الموضوع مدفوعاً بجملته من المبررات التي تعزز مشروعيتها العلمية وفردانيته البحثية، منها:

- **المبررات الموضوعية:** يفتقر النقد العربي، في حدود ما اطلعنا عليه، لدراسات تحليلية تتناول سرطنة العلم كآلية تعليمية، حيث يفتح أفقا لدراسة تقاطع حقول السرد والتعليم في مرجع عالمي ككتاب "تعلم كيف تتعلم".

- **المبررات الذاتية:** ينبع اهتمامنا بهذا الموضوع من بحثنا في السرد المعرفي، وسعينا لاختبار أدوات التحليل السردى والخطابي على نصوص غير روائية، من:
- ✓ **الاهتمام التخصصي:** اهتمامنا البحثي بمجال السرد المعرفي والتربوية والتعليم، وسعينا لفهم الكيفية التي تتحول بها المعلومات من حقائق مجردة إلى سلوك متعلم عبر أدوات السرد.

- ✓ **الرغبة في التجديد المنهجي:** الرغبة في اختبار أدوات التحليل السردى والخطابي (التي يكثر استخدامها في تحليل الرواية) على نصوص غير روائية (نصوص علمية تعليمية)، بهدف توسيع نطاق المناهج النقدية وتطبيقها على نصوص أكثر ارتباطاً بحياة أبنائنا المتعلمين اليومية، وفتح آفاق نحو توظيف السرد المعرفي و السرد التعليمي في العملية التعليمية:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في شقين:

*- **الأهمية النظرية:** الإسهام في تأصيل السرد المعرفي كحقل دراسي يجمع بين النقد الأدبي والعلوم التربوية، وتقديم مقاربة نقدية لكيفية تحويل الحقائق العلمية إلى قوالب سردية.

*- **الأهمية التطبيقية:** تزويد الباحثين والممارسين في حقل التعليم بنموذج تحليلي يُبين كيف يمكن للاستراتيجيات السردية أن تعزز من فعالية تلقي المادة العلمية وتطبيقها.

وتتحدد الإشكالية الجوهرية لهذه المذكرة في السؤال التالي :

كيف وظف السرد المعرفي و السرد التعليمي في كتاب تعلم كيف تتعلم لباربرا أوكلي؟

ويتفرع عن هذا السؤال تساؤلات فرعية:

✓ ماهية السرد المعرفي و السرد التعليمي؟

✓ كيف وظف السرد المعرفي في الكتاب؟

✓ كيف وظف السرد التعليمي في الكتاب

والإجابة عن تلك الأسئلة ستساعدنا في معرفة كيف استطاعت الاستراتيجيات السردية والخطابية في كتاب "تعلم كيف تتعلم" لباربرا أوكلي أن تُعيد هندسة الحقائق العلمية لتتحول من "مادة نظرية" إلى "أداة تعليمية" قابلة للتطبيق؟

ولمقاربة هذه الإشكالية، تعتمد المذكرة على المنهج الوصفي التحليلي، لتحليل القصص المتضمنة في الكتاب، وذلك وفق خطة البحث أدناه:

تجسيداََ للمنهج المعتمد، انتظم البحث في هيكلٍ منهجي يتوزع على النحو التالي:

✓ **مدخل نظري:** يؤسس لمفهومَي السرد و السرد المعرفي والتعليمي.

✓ **فصل تطبيقي:** يُعنى بدراسة نماذج من كتاب "باربرا أوكلي" ويركز على رصد

الأساليب والآليات الإجرائية للسرد المعرفي والتعليمي في كتابها.

✓ **خاتمة:** تستعرض أهم النتائج المتوصل إليها، وتناقش أثر "سردنة العلم" في تطوير

المقاربات التربوية والتعليمية المعاصرة.

واجهت هذه الدراسة أثناء إنجازها جملة من الصعوبات المنهجية والإجرائية، يمكن إجمال أهمها في:

*- تمثلت الصّعوبة الأولى في قلة الدراسات التي تناولت السرد المعرفي و السرد التعليمي، وللد من هذه الصعوبة، اعتمدنا على قراءة مقارنة في المراجع الأجنبية بشكل أكبر وإسقاطها على الجانب العربي، مما تطلب منا جهداً مضاعفاً في تعريب المصطلحات الأجنبية وتكييفها مع السياقين النقدي والتعليمي العربيين.

*- تمثلت الصّعوبة الثانية في الطبيعة المزدوجة لكتاب باربرا أوكلي، إذ يتراوح بين كونه دليلاً تقنياً للتّعلم وبين كونه نصّاً سرديّاً، ففرض تحديّاً في اختيار مفاتيح التحليل التي تجمع بين الأدوات السردية والتربوية دون طغيان أحد الحقلين على الآخر.

*- واجهتنا صعوبة في اختيار المقاطع التحليلية الأكثر تمثيلاً من النص، نظراً للكثافة المعلوماتية وتداخل الأدوات السردية في الفصل الواحد.

لقد اعتمدت هذه الدراسة في بنائها النظري والتطبيقي على جملة من المصادر والمراجع الأساسية، في مقدمتها كتاب باربرا أوكلي "تعلم كيف تتعلم" بوصفه مدونة الدراسة، بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات النقدية والتربوية التي قاربت مفاهيم السرد المعرفي، وخطاب التعليم، والمنهج التحليلي، والتي وفرت الإطار المنهجي اللازم لفك شفرات النص وتحليل بنياته.

وفي الأخير؛ نتقدّم بخالص الشّكر والتّقدير إلى كلّ من ساهم في انجاز هذه المذكرة، ونخصّ بالذكر أساتذتنا الكرام الذين لم ييخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم السّديدة، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

الفصل الأول

أ. تمهيد

1. السرد

1.1. مفهوم السرد

2.1. الجهاز السردى

1.2.1. عناصر العملية السردية

2.2.1. التبنيير وإدارة المعرفة السردية

3.2.1. الزمنية السردية وإيقاع الخطاب

4.2.1. الهندسة المكانية وإدارة الفضاء

5.2.1. الشخصية وإدارة الأدوار في الخطاب

2. السرد المعرفى والتعليمي

1.2. التمييز بين السرد المعرفى، السرد العلمى، السرد التعليمي

1.1.2. السرد المعرفى

2.1.2. السرد العلمى

3.1.2. السرد التعليمي

4.1.2. العلاقة بين السرد المعرفى، السرد العلمى، السرد التعليمي

2.2. سردنة العلم: من الضرورة النظرية إلى الكفاءة التطبيقية (الإرهصات والنظريات)

3.2. آلية تسهيل المعرفة العلمية والتعليمية

1.3.2. الرابط البنيوي والوظيفي بين السرد والتسييل المعرفي

2.3.2. الأشكال السردية وتوظيفاتها التربوية

3.3.2. استراتيجيات سردنة العلم وآليات تسييله

أ. تمهيد:

يعتبر السرد شكلاً مهماً من الأشكال التواصلية والأكثر حضوراً في حياة الإنسان، حيث يرتبط منذ نشأته الأولى بفعل الحكيم باعتباره فعلاً إنسانياً في المقام الأول، وممارسة اجتماعية وثقافية تسهم في نقل الخبرات والأفكار والرؤى بمختلف أنواعها وتعدد زواياها. وقد أشار الباحثون من أمثال سعيد يقطين إلى أنه أنه "تواصل مستمر يتم عبره نقل الحكاية من مرسل إلى متلق"، وهو تعريف يبرز البعد التداولي والتواصل للسرّ بوصفه عملية تعتمد على التفاعل بين طرفين ضمن إطار خاص. ومن ثم، فإنّ السرد لا يقتصر على مجرد نقل الأحداث ويتجاوز ذلك إلى تشكيل الدلالة وإنتاج المعرفة.

وقد ارتبط مفهوم السرد في بداياته بالخطاب الشفهي واللفظي، حيث كان الكلام أدواته الرئيسية في نقل الوقائع والأحداث، غير أنّ تطوّر الدراسات السردية الحديثة، ولا سيما مع البنيويين والسيمائيين، أسهم في توسيع دلالاته الاصطلاحية، فلم يعد يُنظر إليه باعتباره مجرد حكاية تُروى، بل أصبح يُفهم بوصفه بنية نصية متكاملة تمتلك نظامها الخاص من المكونات والعلاقات والتقنيات الفنية الخاصة.

وهكذا غدا السرد يشير إلى النصّ بما يتضمّنه من شخصيات، وأحداث، وزمان، ومكان، ورؤية سردية، ولغة، وتقنيات تتضافر جميعها لإنتاج الدلالة. وفي ضوء التحوّلات النقدية المعاصرة، لم يعد السرد مجرد أداة جمالية وأصبح وسيطاً معرفياً وتعليمياً قادراً على نقل القيم والخبرات وتنظيم الوعي الإنساني. لذلك برزت مفاهيم حديثة مثل "السرد المعرفي" الذي يهتم بوظيفة الحكاية في إنتاج المعرفة وتأويل العالم، و"السرد التعليمي" الذي يوظف البنية السردية في تبسيط المفاهيم وتعميق التعلّم وتحفيز التفاعل مع المحتوى المعرفي.

1. السرد:

1.1. مفهوم السرد :

يتجلى مفهوم السرد كواحد من المفاهيم الإشكالية التي تشغل الدراسات النقدية الحديثة الغربية والعربية منها، وذلك نظراً لتعدد مقارباته وتنوّع خلفياته النظرية، فصار مفهوماً مفتوحاً يتّسع لأبعاد لغوية وجمالية ومعرفية مختلفة.

ويبرز في السياق البنيوي الغربي، الباحث تزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov) الذي يقدم تصوراً للسرد على أنّه عملية تحويل حدث إلى خطاب، حيث يفرّق بين "القصة" باعتبارها

المحتوى الحكائي و"الخطاب" باعتباره الطريقة التي يُنقل بها هذا المحتوى، ويؤكد هذا التصور الطابع البنيوي للسرد الذي يُعنى بكيفية بناء الحكاية بطريقة أشبه بالجملة النحوية، ولا يهتم بمضمونها أو ما تقدمه من دلالات¹.

ويرى رولان بارت (Roland Barthes) بتوسيع مفهوم السرد فيجعله ظاهرة إنسانية عامة، مؤكداً أنه لا يقتصر على النصوص الأدبية فقط ويتجلى في مختلف أشكال التعبير الإنساني مثل الأسطورة والسينما والحكاية اليومية، مما يجعل السرد نسقاً ثقافياً شاملاً يتجاوز حدود الأدب والتخييل². ومن ثم، فإن السرد عند بارت يتجاوز حدود كونه مجرد حكي للأحداث ليصير نسقاً دلاليًا وثقافياً يعبر عن التجربة الإنسانية المتنوعة. أما جيرار جنيت (Gérard Genette) فيركز على البنية الداخلية للنص السردى من خلال تحليل العلاقات الزمنية والصوتية والرؤية السردية، معتبراً أن السرد يُفهم من خلال آليات تنظيمه أكثر من محتواه³.

أن السرد لا يُفهم بوصفه مجرد تسلسل حكائي (A. J. Greimas) ويرى أ. ج. غريماس للأحداث، بل باعتباره بنية دلالية تقوم على علاقات الفعل بين "الذوات السردية"، فيتجسد المعنى من خلال ما يسميه "البرنامج السردى" الذي يعبر عن انتقال الذات من حالة افتقار إلى حالة تحقق لقيمة أو موضوع دلالي⁴. وفي المقابل، قدّمت الدراسات العربية الحديثة إضافات مهمة في مقارنة السرد، حيث يعرف حميد لحداني السرد بوصفه الكيفية التي تُروى بها الحكاية، من خلال تنظيم الأحداث وتقديمها وفق بناء فني معيّن، حيث يرتبط السرد بطريقة عرض الوقائع والأحداث داخل النص، لا بالأحداث ذاتها فقط، فيقول أن السرد هو بنية نصية مركبة تتفاعل فيها عناصر متعددة مثل الزمن والشخصيات والرؤية السردية، في إطار إنتاج دلالة متكاملة للنص، ويقوم السرد على دعمتين أساسيتين هما أن يحتوي على قصة ما تضم أحداثاً معينة، وأن يعيّن الطريقة التي تحكى بها تلك القصة⁵.

1. ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، 2005، ص 28 –

31.

2. ينظر: رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1993، ص 7.

3. جيرار جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص 27.

4. A. J. Greimas, Structural Semantics: An Attempt at a Method, University of Nebraska Press, 1983, passim

5. حميد لحداني، بنية النص السردى: من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1991، ص 45.

لكننا نرى سعيد يقطين يؤكد أنّ السرد ليس مجرد تقنية حكاية، فهو "نظام تواصل" يقوم على نقل خطاب من مرسل إلى متلقٍ¹ داخل سياق تواصل محدد يبرز بعده التداولي والوظيفي، كما يذهب إلى أنّ ما يحدد سردية خطاب ما هو توفره على "ثلاث معايير؛ الصيغة (السرد)، الزمن (استيعاب الحكي التقريري)، قصدية الكاتب (هل يكتب الكاتب ضمن حدود الخطاب السرد أم خارجها؟ وقصدية الكاتب هي قصدية القارئ أيضا)². ويقصر مكونات الخطاب السرد في مكونات هي على الترتيب: الزمن، الصيغة، الرؤية أو الصوت³، إلى أن يصل إلى أنه "فعل لا حدود له، يتسع ليشمل الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان⁴.

وبذلك يتضح أن مفهوم السرد، سواء في النقد الغربي أو العربي، قد تطوّر من مجرد أداة لحكي الأحداث إلى بنية خطابية ومعرفية معقدة، تُنتج المعنى عبر تنظيم اللغة والزمان والرؤية، وتفتح المجال لتأويلات متعددة تتجاوز حدود الحكاية إلى فهم أعمق للخطاب الإنساني. وإذا كان هذا الانفتاح قد منح السرد أبعاده المعرفية والثقافية الواسعة الشاسعة، فإنه لم يُلغ خصوصيته الفنية بوصفه بنية قائمة على مجموعة من العناصر والمكونات التي تشكّل نظامه الداخلي. فمهما تعددت مجالات حضور السرد وتنوّعت وظائفه، فإنه ما يزال يقوم على آليات وتقنيات تنظّم بناء الحكاية وتوجّه عملية التلقي.

ومن هنا اهتمت الدراسات السردية، عبر مختلف العصور، بالكشف عن البنية الداخلية والهيكلية الاجرائية للخطاب السرد، وتحليل العناصر التي تسهم في تشكيله وإنتاج دلالاته، كالراوي، والشخصيات، والحدث، والزمن، والمكان، إلى جانب التقنيات السردية المختلفة التي تتحكم في طريقة عرض الوقائع وتقديمها. فهذه المكونات لا تشتغل بصورة منفصلة، إذ تتفاعل داخل شبكة مترابطة ومتكاملة تمنح النصّ السردى انسجامه الفني وقدرته على التأثير⁵.

وعليه، فإن دراسة البنية السردية ومكوناتها تُعد مدخلا أساسيا لفهم طبيعة الخطاب السردى وآليات اشتغاله، إلّا أن الدراسات السردية المعاصرة شهدت ما يعرف بالـ"المنعطف المعرفي" وهو تحول دفعها إلى تجاوز مجالها التخيلي التقليدي، والانفتاح على أنماط خطابية أخرى، من بينها الخطاب العلمي والمعرفي، فلم يعد السرد حكرا على المتخيل الأدبي والأفاصيص الخيالية،

¹. ينظر: سعيد يقطين، المرجع السابق، ص 30.

². المرجع نفسه، ص 44 - 48.

³. ينظر: المرجع نفسه، ص 51 - 52.

⁴. سعيد يقطين، الكلام والخير: مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص19.

⁵. يُنظر: عيسى طيبي، تحليل الخطاب النقدي، محاضرات مقياس النقد الحديث والمعاصر، جامعة أكلي محمد أولحاج، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2021-2022، ص17-22.

وأضحى استراتيجيات ذهنية غلّيا وآلية إبستمولوجية تنظم من خلالها الذات البشرية خبرتها وتهيكل بها معارفها العلمية والتعليمية لتصير قابلة للتمثل والتلقي بشكل أسهل وأيسر، وهكذا ظهر ما يعرف بالسرد المعرفي والسرد التعليمي.

2.1. الجهاز السردى:

هو مجموعة الأدوات، التقنيات، والعناصر البنيوية التي يستخدمها يقوم عليها السرد لتنظيم الأحداث داخل الخطاب اللغوي وتوجيهها وخلت أثر جمالي وتأثيري في المتلقي. ومن هنا، يقتضي تحليل النص السردى الوقوف عند هذه المكونات بوصفها مفاتيح لفهم طريقة اشتغال الحكاية داخل الخطاب. وتتكامل هذه المنظومة من خلال المكونات الأساسية التالية:

1.2.1. عناصر العملية السردية:

العملية السردية هي في جوهرها "عملية تواصلية" فريدة، وهي العملية التي يتحول بها "المتن الحكائي" الخام إلى "مبنى خطابي" لغوي منظم. ويقتضي هذا التحول وجود بنيتين مركزيتين تتقاسمان

قناة البث السردى (القصة)، وهما: الذات المرسل (السارد) والذات المستقبل (المسرود له)¹.

أ. **السارد:** إن البحث الأكاديمي المعاصر، بدءاً من أطروحات الشكلايين الروس وصولاً إلى شعرية جيرار جينيت وبلاغة واين بوث (Wayne Booth)، قد تجاوز التصنيفات الكلاسيكية السطحية التي كانت تختزل السارد في حدود الضمير اللغوي (متكلم/غائب)، لصالح تصنيفات بنيوية وإجرائية تقيس تموجات السارد وفقاً لموقعه الوجودي من الحكاية، ومستواه السردى²:

✓ **السارد خارج الحكاية:** وهو الصوت السردى الذي لا ينتمي إلى العالم المحكى بصفته شخصية من شخصياته؛ إنه كيان لغوي يقف خارج الحكاية ليتولى عملية الوصف والسرد، وغالباً ما يتوسل بضمير

الغائب. يتطابق هذا الشكل إجرائياً مع ما يُعرف في النقد بالسارد العليم/الإله.

✓ **السارد داخل الحكاية:** وهو السارد الذي يوجد داخل الفضاء الحكائي بصفته شخصية فاعلة تتأثر بالأحداث وتؤثر فيها، ويتخذ حيزاً كرونولوجياً (زمنياً) واضحاً، غير أنه لا يمتلك سيادة معرفية مطلقة ولا يتاح له النفوذ إلى مصائر الشخصيات ولا استبطان وعيها الداخلي ومشاعرها.

¹. ينظر: حميد الحمداني، المرجع السابق نفسه، ص 45.

². ينظر: جيرار جينيت، المرجع السابق نفسه، ص 261.

كما أن للسارد مظاهر وتجليات حسب الصّوت السردى، وتنقسم إلى¹:

✓ **السارد الذاتى:** وفيه يكون السارد هو البطل الرئيسى للرواية، حيث يتماهى صوت السرد مع ذات الشخصية المحورية لتسرد تجربتها أو ما مرت به، ويتحدث بضمير المتكلم.

✓ **السارد الشاهد:** وفيه يتنحى السارد عن دور البطولة ليصبح شخصية ثانوية أو مراقباً للأحداث، ودوره هو رصد مغامرة البطل ونقلها إلى المتلقي كشاهد، وقد يتحدث بضمير المتكلم أو الغائب.

✓ **السارد المتعدد:** وفيه يكون السارد عدّة أطراف، فنكون أكثر من سارد، وتقدّم القصة كما تحياها شخصيات متعددة.

✓ **السارد الأحادي:** وفيه يكون السارد شخصية واحدة، وتقدم القصة كما تحياها شخصية مركزية ثابتة².

ب. المسرود له: المسرود له هو القطب البنيوي المقابل في جانب التلقي داخلاً لنص. ويُعرّف جيرالد برينس المسرود له بأنه الشخص الذي يوجه إليه السارد خطابه في النص³.

ومن الأخطاء المنهجية الشائعة خلط الباحثين بين المسرود له والوجه الأخرى للتلقي. فالتمييز حاسم أكاديمياً بين ثلاث كينونات متباينة:

✓ **القارئ الحقيقى:** وهو الكائن غير اللغوي الواقعي الذي يشتري الكتاب ويقرؤه في سياق تاريخي محدد.

✓ **القارئ الضمني:** وهو النموذج المثالي المعياري الذي يتوقعه النص ويشترط فيه كفاءة لغوية وثقافية معينة لفك الشفرات.

✓ **المسرود له:** وهو مخاطب نصي، كائن لغوي غير واقعي، قد يكون صريحاً أو خفياً، يخلقه السارد ويوجه إليه ذبذبات حكايته. تتبدى مؤشرات اللغوية صراحة عبر الصيغ الأسلوبية، مثل ضمائر المخاطب، أو صيغ النداء المباشر، أو أن يكون شخصية مشخصة داخل النص تستمع لحكاية السارد المتضمن.

ولا يوضع المسرود له في النص كزينة أسلوبية، بل يؤدي وظائف إستراتيجية تحكم حركة

¹. ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المرجع نفسه، ص 287.

². ينظر: طيبي عيسى، المرجع السابق نفسه، ص 51.

³. ينظر: جيرالد برينس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، دار ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 2003، ص 120.

التوجيه السردى، حيث يساهم في تأطير القصة وتطوير الحبكة وذلك من خلال دفع السارد لمواصلة الحكى أو التوقف. هذا وقد يستخدم السارد المسرود له لبث حكم، أو تفسيرات، أو تمرير مواقف أيديولوجية محددة، فيؤثر بطرف خفي على القارئ الحقيقي ويقوده لتبني قيم القصة¹.

ج. مادة السرد/المسرود (الحكاية): الحكاية، وهي المادة المرجعية الخام، والمحتوى الدلالي الذي يدور حوله هذا التواصل. ولا يكتمل الفهم للعملية السردية دون تفكيك الحكاية بوصفها النواة الأصلية التي يتدخل السارد لإعادة تشكيلها وصياغتها زمنياً ومنظورياً.

درجت السرديات المعاصرة، تأثراً بأطروحات الشكلايين الروس، على الفصل بين مستويين لوجود النص الأدبي:

✓ **المتن الحكائي/الحكاية:** وهي مجموع الأحداث المترابطة التي تقع في عالم الرواية، مضافاً إليها الشخصيات والفضاء الزماني والمكاني. وتتميز الحكاية بأنها تلتزم بالنظام المنطقي والكرونولوجي

(الزمني) الصارم؛ حيث يقع الحدث (أ) ثم ينتج عنه الحدث (ب) بترتيب طبيعي وافتراضي.

✓ **المبنى الحكائي/الخطاب:** وهو الطريقة الفنية والجمالية التي يختارها السارد لعرض تلك الحكاية وتشويه زمنها الطبيعي (عبر التقديم، التأخير، الحذف، والتبئير). وبذلك، تكون "الحكاية" هي الإجابة عن سؤال: ماذا يُحكى؟، بينما "الخطاب" هو الإجابة عن سؤال: كيف يُحكى؟²

وحسب ما سبق، فإنها المادة الحكائية التي يقوم عليها السرد، أي مجموع الأحداث والوقائع والشخصيات والتحويلات التي تُنقل عبر الخطاب السردى، لها شكل ما، أي يكون لها بداية، ووسط، ونهاية³. ويخضع المسرود لعدد من التقنيات السردية التي تتحكم في طريقة تقديمه للمسرد له، مثل: الترتيب الزمني، والاسترجاع، والاستباق، والوصف، والحوار، وهو ما يجعل الحكاية بناءً فنياً يتجاوز مجرد نقل الوقائع إلى إنتاج المعنى والدلالة⁴.

2.2.1. التبئير وإدارة المعرفة السردية:

1. ينظر: المرجع نفسه، ص120.

2. ينظر: جيرالد برنس، المرجع نفسه، ص187.

3. حميد لحداني، المرجع نفسه، ص45.

4. ينظر: جيرار جينيت، المرجع نفسه، ص 37 – 42.

تُمثل دراسة المنظور السردى واحدة من أكثر الإشكالات حيوية في السرديات المعاصرة، إذ إن النص السردى لا ينقل الأحداث بصورة حيادية مجردة، فهو يعتمد إلى قنوات إدراكية وبصرية محددة تترشح عبرها المادة الحكائية إلى المتلقي. وقد شهدت الساحة تحولاً منهجياً حاسماً عند الانتقال من الجهاز المفاهيمي الكلاسيكي القائم على مقولة "وجهة النظر" أو "زاوية النظر" إلى المفهوم البنيوي المستحدث "التبئير"¹.

وجاء مصطلح "التبئير" مع الناقد الفرنسي جيرار جينيت ليكون بديلاً دقيقاً للمصطلحات التقليدية

الفضاضة مثل "وجهة النظر" أو "المنظور"، ثم إن ميزة التبئير أنه يفصل بشكل حاسم بين سؤالين:

من يتكلم؟ وهو ما يعود إلى "الصوت السردى".

من يرى؟ وهو ما يعود إلى "التبئير" أو مركز الإدراك والوعي داخل النص.

أ. **التبئير الصفر والتفوق المعرفي:** يمثل هذا النمط حالة السرد الكلاسيكي المهيمن²، ويتطابق إجرائياً مع مقولة "الرؤية من الخلف" لتودوروف، وفيه يتحرك السارد بوصفه عليمًا مطلقاً، فلا يخضع لقيود الزمان أو المكان، ويمتلك تصريحاً بالاختراق العمودي لوعي الشخصيات. وتتجلى فيه الصيغة البنيوية لإدارة المعرفة كالاتي: المعرفة (السارد) < المعرفة (الشخصية)³، أي أن القارئ يتلقى من السارد معلومات تتجاوز إدراك الشخصيات الروائية مجتمعة، فيتيح للنص ممارسة "المفارقة الدرامية".

ب. **التبئير الداخلي وشرط الذاتية:** ينتقل النص في هذا التموج من الرحابة المطلقة للسارد العليم إلى مضائق الوعي الإنساني المحدود، متطابقاً مع مقولة "الرؤية مع"، وتُقيد المعلومات السردية هنا بحدود القناة الإدراكية لشخصية داخلية (المبؤر). القارئ لا يرى الفضاء، ولا يسمع الحوارات، ولا يدرك الأحداث إلا عبر المصفاة النفسية والحسية لهذه الشخصية. وينشطر هذا التموج إلى ثلاثة أشكال: التبئير الداخلي الثابت، المتغير، المتعدد. وتتجلى فيه الصيغة البنيوية لإدارة المعرفة بحيث المعرفة (السارد) = المعرفة (الشخصية)، أي أن النص يضع القارئ في رتبة مساوية تماماً للشخصية؛ فلا يسبقها بمعلومة ولا يتخلف عنها.

¹. ينظر: عيسى طيبي، المرجع نفسه، ص47.

². ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المرجع نفسه، ص297.

³. ينظر: حميد لحداني، المرجع نفسه، ص47.

ج. التبئير الخارجي والحياد المعرفي: يتطابق مع مقولة "الرؤية من الخارج"، وفيه يتنازل السارد عن سيادته المعرفية، وتتحوّل عينه السردية إلى كاميرا تسجيلية محايدة. يقتصر الخطاب هنا على رصد الأفعال المادية الخارجيّة، والملاحم الفيزيائية، والحوارات المنطوقة، دون أي قدرة على ولوج العالم الداخلي للشخصيات أو تفسير دوافعها النفسية¹. وتتمثل صيغة البنيوية لإدارة المعرفة بالمعرفة (السارد) > المعرفة (الشخصية)². تظهر الشخصية الروائية هنا كأحجية غامضة أو كائن مبهم لأنها تعرف عن نفسها ودوافعها أكثر مما يستطيع السارد المحايّد رصده ونقله للقارئ.

وبناءً على ما سبق، يتضح أن التبئير إذن ليس مجرد ترف أسلوبى، بل هو النظام البنيوي المسؤول عن أمن المعلومات داخل النص، فهو الذي يحدد ما يُسمح للقارئ بمعرفته وما يجب حجبّه عنه في كل لحظة سردية، والكاتب هو مصدر كل تبئير مهما كان نوعه .

3.2.1. الزمنية السردية وإيقاع الخطاب:

ليتحرك الخطاب الروائي في خط زمنيّ عمداً إلى التلاعب وتشويه خطيته لغايات جمالية ودلالية وهو ما يعرف بزمن السرد، وزمن السرد "إشكالي، إنّه بُعد مكاني، وليس زمانياً"³. وعليه، فإن دراسة "الزمنية السردية" تقتضي تفكيك مستويين رئيسيين: النظام الزمّني (المفارقات التي تكسر تتابع الأحداث)، والديمومة السردية (الإيقاع والسرعة التي تتحكم في تدفق الحكاية عبر تقنيات الوصف والحوار)⁴.

أ. المفارقات الزمنية وخلخلّة النظام⁵: المفارقة الزمنية هي عدم التطابق بين الترتيب المفهومي للأحداث في "الحكاية" (الزمن الطبيعي)، والترتيب الفني لها في "الخطاب" (الزمن النصّي). وتنقسم هذه المفارقات مع جيران جنيت إلى نوعين مهمين:

✓ الاسترجاع السردى: وهو قفز الخطاب إلى الوراء لاستدعاء حدث سابق على النقطة الزمنية الحاضرة في السرد. يؤدي الاسترجاع وظيفة ملء الفجوات المعرفية، فهو يضيء ماضي الشخصيات، ويفسر دوافعها النفسية، أو يكشف عن خلفيات الأحداث التي بقيت مبهمّة.

1. ينظر: سعيد يقطين، المرجع نفسه، ص 297.

2. ينظر: حميد لحداني، المرجع نفسه، ص 48.

3. شلوميث ريمون كينان، القصة الرواية: الشعرية المعاصرة، تر: لحسن أحمامة، دار الثقافة – الدرا البيضاء، ط1، 1995، ص 70.

4. جيران جنيت، المرجع نفسه، passim.

5. المرجع نفسه، الفصل الأول: (الترتيب)، ص 45 – 76.

✓ الاستباق السردى: وهو قفز الخطاب نحو المستقبل لاستشراف حدث لاحق قبل أوانه الطبيعى. وتكثر هذه التقنية لتوليد التشويق، أو إضفاء طابع حتمي وقدرى على مصائر الشخصيات، أو كسر رتابة التتابع الكرونولوجي.

ب. إيقاع الخطاب السردى وحركات السرعة:

إذا كانت المفارقات تتلاعب بـ"ترتيب" الزمن، فإن حركات السرعة تتلاعب بـ"ديمومته" وإيقاعه؛ أي النسبة بين المدة التي يستغرقها الحدث في الواقع الافتراضي للحكاية، والمساحة (الأسطر والصفحات) التي يشغلها في متن الخطاب. وباتخاذ السرعة كمعيار، يمكن التمييز بين شكلين من

الإيقاع في النص، الإيقاع السريع والإيقاع البطيء¹، وتتحكم في هذا الإيقاع أربع حركات كبرى²:

✓ المشهد السردى: ويتجلى بوضوح عبر "الحوار" في هذه الحركة، يتطابق زمن الحكاية تقريباً مع زمن الخطاب؛ أي (زمن الحكاية = زمن الخطاب). ويبتعد السارد هنا وينزأ لصالح التمثيل المباشر، فتتكلم الشخصيات بلسانها مما يمنح النص حيوية درامية واقعية، ويجعل القارئ معاشياً للحدث في لحظة وقوعه الحية.

✓ الوقفة الوصفية: وتتحقق عبر الوصف. في هذه الحركة، يتوقف زمن الحكاية تماماً بينما يستمر زمن الخطاب في التمدد؛ أي (زمن الحكاية = صفر، زمن الخطاب < صفر). يتخلل السرد عن وظيفته الحركية ليقوم برصد الأمكنة، أو تشريح الملامح الفيزيائية للشخصيات، أو تأنيث الفضاء، حيث يمثل الوصف هنا، على غرار وظيفته التوضيحية التفسيرية أو الجمالية، نوعاً من الوقفة التأملية الأسلوبية تبطئ الإيقاع وتكثف الدلالة النفسية والأيدولوجية

للمكان والشيء الموصوف³.

✓ الخلاصة أو الإيجاز: وهي الحركة الكفيلة بتسريع الإيقاع السردى، حيث يعمد السارد إلى اختزال سنوات أو شهور طويلة في أسطر قليلة (زمن الحكاية < زمن الخطاب)، كأن يقال: "مرت عشر سنوات من الشقاء". وظيفتها تخطي الفترات الرتيبة للتركيز على اللحظات المفصلية.

1. شلوميث ريمون كينان، المرجع نفسه، ص 82.

2. جيرار جينيت، المرجع نفسه، الفصل الثاني: (المدة)، ص 101 - 119.

3. ينظر: حميد لحداني، المرجع نفسه، ص 79 - 80.

✓ **الحذف السردى:** وهو أقصى درجات التسريع والقفز الزمني، وفيه يسكت الخطاب تماماً عن مدة زمنية من عمر الحكاية دون أن يخصص لها أي مساحة نصية (زمن الخطاب = صفر، زمن الحكاية < صفر)، تاركاً للقارئ مهمة ملء هذه الفجوة البيضاء بجهده التأويلي.

ويلاحظ من خلال الهندسة الإيقاعية للنص الروائي أن المبدع لا يستقر على حركة واحدة، بل يمارس عبر هذه الشبكة المفهومية ما يُسمى بـ(التناوب الإيقاعي)؛ فيضغط الزمن ويسرعه عبر الحذف والخلصة ليتجاوز الرتابة، ثم يمدده ويمططه عبر الوصف والمشهد الحوارى ليتأمل اللحظات المكثفة دلاليًا وجماليًا¹.

4.2.1. الهندسة المكانية وإدارة الفضاء السردى:

انتقلت الدراسات السردية المعاصرة من دراسة "المكان" بوصفه خلفية جغرافية محايدة، إلى دراسة "الفضاء السردى" باعتباره المسرح الروائي بأكمله الذي يفترض استمرارية الحركة فيه³.

إن النصّ الروائي يعيد اختراع الأمكنة لغوياً، فالمكان المعماري الحقيقي يتحول عبر مصفاة الخطاب إلى فضاء نصي مشحون بالرموز والأيدولوجيا، وبذلك تصبح إدارة الفضاء عملية تنظيمية واعية تسهم في بناء الرؤية الكلية للعمل الأدبي وإدارة حركة الشخصيات وتحديد مواقفها من العالم الروائي، ومن أبرز هذه البنيات التنظيمية:

أ. **الأماكن المغلقة:** فنجد الأماكن المغلقة (كالبيت، الغرفة، القصر)، تدار هندسياً في كثير من النصوص بوصفها فضاءات للألفة، والحماية، والانكفاء على الذات، إلا أنها قد تتحول في نصوص أخرى إلى سجون خانقة تعكس أزمة الشخصية.

ب. **الأماكن المفتوحة:** ونجد الأماكن المفتوحة (كالشارع، الصحراء، المدينة الصاخبة)، وغالباً ما تصاغ كفضاءات للحرية، والتحول، والمغامرة، أو فضاءات وحشية تكرر ضياع الذات واغترابها

أمام اتساع العالم الخارجى.

¹ حسن البحراوى، بنية الشكل الروائي: الفضاء - الزمن - الشخصية، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص 145 - 146.

³ ينظر: حميد لحداني، المرجع نفسه، ص 62 - 63.

وتتجلى أهمية الفضاء السردى القصوى في أنه يرتبط بزمن القصة من جهة، وقيم صلات وثيقة بالمكونات الأخرى وفي مقدمتها الحدث والشخصيات والرؤية السردية، وسواء جاء في صورة مشهد وصفي أو مجرد إطار للأحداث، تظل مهمته الأساسية التنظيم الدرامي للأحداث¹.

5.2.1. الشخصية وإدارة الأدوار السردية في الخطاب:

مكون "الشخصية" هو المحرك الحيوي الذي تتقاطع عنده كل المكونات السابقة (الزمن، المكان، والتبئير). في السرديات المعاصرة، حدث تحول جذري، حيث جردت الشخصية من أبعادها النفسية

والواقعية الكلاسيكية (كإنسان حقيقي)، لتتحول إلى بنية نصية مصنوعة من ورق ولغة².

أ. التمييز بين "العامل" و"الشخصية" (ثنائية بروب وغريماس): يفرق النقد البنيوي بين مستويين لوجود الشخصية داخل الحكاية³:

✓ **العامل/الفاعل:** وهو الدور الوظيفي المجرد الذي تؤديه الشخصية في تحريك الحبكة (مثل: البطل، المساعد، العائق، المرسل). قد يكون العامل مجرداً كالخوف أو الوطن وليس شرطاً أن يكون إنساناً.

✓ **الشخصية/الممثل:** وهو المظهر اللغوي والاسم والقناع الفني الذي يرتديه هذا العامل داخل الرواية (مثال: أحمد، الطبيب، اللص) ليؤدي الدور الوظيفي.

ب. أشكال تقديم الشخصية في الخطاب: يتم بناء الشخصية وتأنيث معرفة القارئ بها عبر آليتين رئيسيتين⁴:

✓ **العرض المباشر (التعيين الأسلوبي):** حيث يقوم السارد بتعريف الشخصية مباشرة بذكر اسمها، ملامحها، صفاتها، وطباعها.

✓ **العرض غير المباشر (الفعل السلوكي):** وفيه تُبنى الشخصية تدريجياً أمام القارئ من خلال أفعالها، حواراتها مع الآخرين، ومواقفها داخل الفضاء السردى.

تأسيساً على ما تقدم في هذا الفصل، تتيح المقاربة البنيوية والأسلوبية تفكيك المعمار الداخلي للخطاب السردى عبر رصد تمفصلاته الكبرى، ومع ذلك، فإن هذه الترسنة المصطلحية

1. حسن البجراوي، المرجع نفسه، ص 26 – 30.

2. ينظر: جيرالد برنس، المرجع نفسه، ص 9، وأيضاً: ص 30.

3. حميد لحمداني، المرجع نفسه، ص 51 – 52.

4. ينظر: شلوميت ريمون كنعان، المرجع نفسه، ص 93 – 106.

والميكانيزمات النصية لا تنتهي صلاحيتها عند حدود "صناعة التخييل الأدبي"، حيث أنها تمثل، في جوهرها، بنيات

إدراكية عليا يشغل بها العقل البشري لتنظيم فهمه للعالم وتوطين المعلومات في الذاكرة¹.

إن هذا الاستنتاج المنهجي هو الذي يفرض على البحث النقدي قفزة نوعي، فالأدوات التي فككناها في بيئتها التخيلية هي ذاتها الأدوات التي تُستدعى بكثافة عندما يُراد تبسيط العلم ومفاهيمه.

بناءً على هذا الأفق المعرفي المشترك، يغلق هذا المبحث أقواسه السردية الخاصة، ليفتح الفصل القادم آفاقاً جديدة تتجاوز الحدود نحو "السرديات المعرفية والتعليمية"؛ وذلك للوقوف على سؤال معرفي حاسم: كيف يُوظف السرد بآلياته الخطابية (كالتبئير والاستعارة الإدراكية والتتابع الزمني) داخل النص العلمي والتعليمي كاستراتيجية ذهنية كفيلة بتحويل البنى المعرفية المجردة إلى تجارب حية قابلة للتمثل والاستيعاب الإدراكي؟

2. السرد المعرفي والتعليمي:

عرف الوسط العلمي والتعليمي الكثير التّحفظات التقليدية إزاء توظيف "الأسلوب السردية"، وما يترتب به أحياناً من دلالات تُقصيه عن الصّرامة المعرفية والعلمية، في المقابل، تؤكد بعض الدراسات البيداغوجية الحديثة على ضرورة عدم إغفال وإهمال القوالب السردية عند صياغة الخطاب العلمي، وخاصة الموجه للجمهور غير المتخصص كطلاب المدارس، ولعل أهمية هذه المقاربة تكمن بشكل واضح وجلي في قدرتها الكبيرة على رفع مستويات الاستيعاب المفاهيمي وإثارة الاهتمام وتعميق التفاعل والانخراط مع المادة العلمية.

ويكتسب هذا التّوجه مشروعيته من واقع أن الجماهير غير المتخصصة تستمد جلّ معلوماتها العلمية من وسائل الإعلام الجماهيري، وهي وسائل تنزع بطبيعتها البنيوية نحو الصياغات السردية. علاوة على ذلك، يتميز السرد بطاقة إقناعية خاصة تتيح للوسائط العلمية أدوات وآليات تفاعلية لتفكيك مقاومة الجماهير تجاه ما يطرحونها. ورغم ما يثيره هذا التوظيف من عديد الإشكاليات والاعتبارات الأخلاقية، برز ما يُعرف بشعرية السرد العلمي، التي تقوم على توظيف التقنيات السردية داخل الخطاب التعليمي، حتى يسمح لاحقاً بتحويل المفاهيم والمعلومات المجردة إلى بنى سردية أقدر على التّوضيح والتأثير والتلقي. وبذلك، أصبح السرد عنصراً فعالاً ومهماً في إنتاج المعرفة وتداولها، لا مجرد وسيلة جمالية للتخييل، وهو ما يفتح المجال لدراسة الكيفية التي تتداخل بها الوظيفة المعرفية مع البنية السردية داخل الخطاب العلمي والتعليمي².

¹. ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المرجع نفسه، ص 49.

². Dahlstrom, M. F. (2014). Using narratives and storytelling to communicate science with nonexpert audiences. Proceedings of the National Academy of Sciences, from <https://doi.org/10.1073/pnas.1320645111>, تاريخ الإطلاع: 20 أبريل 2026.

والحديث عن السرد المعرفي والتعليمي ينقلنا إلى واحدة من أهم الثورات النقدية في الربع الأخير من القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين. وفي هذا الطرح، سننتبع تاريخ هذا التحول المعرفي، سياقه، وأبرز رواده الذي نقلوا السرد من سياقه التخيلي إلى أفق معرفي وعلمي.

1.2. التمييز بين السرد المعرفي والسرد العلمي والسرد التعليمي¹.

1.1.2. السرد المعرفي:

أ. مفهومه ومجاله: يرتبط السرد المعرفي بشكل أساسي بالعلوم المعرفية والسرديات الحديثة، ويهتم بدراسة العلاقة بين السرد والعملية العقلية الإدراكية والتفكيرية. فمحور اهتمامه لا يتمثل في "ماذا يروي النص؟" وحسب، حيث يهتم أيضاً في "كيف يفهم العقل البشري المعارف المسرودة ويعالجها؟"

ويقوم هذا اتجاه الجديد على فكرة أن السرد نفسه ليس مجرد بنية لغوية أو اختيارات جمالية، إذ هو نشاط ذهني يساعد الإنسان على: تنظيم الخبرة، بناء الدلالة، تفسير الأفعال...، وفهم العالم عبر نماذج سببية وزمنية.

ويقوم هذا الاتجاه على فكرة أن السرد ليس مجرد بنية لغوية أو جمالية، فهو نشاط ذهني يساعد الإنسان على: تنظيم الخبرة، بناء المعنى، تفسير الأفعال والنوايا، وفهم العالم عبر نماذج سببية وزمنية. ويدرس العمليات الذهنية التي يمارسها الدماغ لفهم أي خطاب مبني على حكاية. ويرتبط بمجالات أخرى مثل: علم النفس الإدراكي، فلسفة الذهن، علوم الإدراك، الذكاء الاصطناعي، ونظريات التلقي.

ب. خصائصه: يتسم السرد المعرفي بخصائص تجعله حقلاً نظرياً واصفاً للعمليات الذهنية، وأبرزها²:

- العالمية الإدراكية: لا يرتبط بنص دون غيره، حيث يدرس "الاستعداد الفطري" في أدمغة البشر لتنظيم التجارب في قالب حكاية.
- البينية: له طابع بين-تخصصي، حيث يدمج بصرامة بين أدوات السرد ومكتشفات العلوم المعرفية (كعلم النفس العصبي والذكاء الاصطناعي...).
- المحاكاة والتجسيد العقلي: لا يقتصر السرد المعرفي على سرد الأحداث، إذ يبنى عوالم افتراضية في ذهن المتلقي، حتى يتيح له تخيل التفاصيل حسياً وعاطفياً وكأنه يعيشها فعلياً.

¹ Hassan, A., & Oakley, B. (2025). The poetics of science narration in educational literature. *Educational Sciences*, 5(3), 116. <https://doi.org/10.3390/xxxxx>

20 أبريل 2026

² ينظر: نادية هناوي، "ديفيد هيرمان والسرد المعرفي"، القدس العربي، 9 يوليو 2020، <https://www.alquds.co.uk>، تم الإطلاع: 20 أبريل 2026.

- التركيز على فعل التلقي والفهم: بدل بنية النص الساكنة، نجده يُعنى بالحركة الذهنية والمحاكاة التي يقدم عليها القارئ لبناء العالم القصصي في وعيه، وكيف يفسر العلاقات السببية.
- تبني وجهات النظر ونظرية العقل: يمتلك السرد المعرفي قدرة فريدة على الغوص في أعماق الشخصيات، وهكذا يسمح للمتلقي بإدراك وفهم نوايا، معتقدات، ودوافع الآخرين النفسية.
- الحوارية والتعددية الصوتية: خلق بيئة تفاعلية داخل النص تتيح تصادم الرؤى والأفكار دون تدخل سافر من "الراوي العليم"، مما يترك للعقل حرية التحليل والاستنتاج.

2.1.2. السرد العلمي¹:

أ. مفهومه ومجاله: يرتبط بطريقة توظيف السرد داخل الخطاب العلمي والمعرفي، أي توظيف تقنيات السرد (الزمن، الشخصيات، الحبكة) والبنية السردية لتقديم محتوى علمي بحث، فالعلم لا يقدم المعارف دائماً في شكل معادلات أو تقارير جافة، بل يعتمد أحياناً على السرد لتنظيم الوقائع وربط الأسباب بالنتائج، خاصة في العلوم التي تتعامل مع ظواهر معقدة أو ممتدة زمنياً، مثل: التاريخ الطبيعي، الجيولوجيا، الطب، علم الأوبئة، البيولوجيا التطورية.

فعندما يشرح عالمٌ تطور مرضٍ ما عبر تسلسل زمني للأحداث والعوامل، أو عندما يروي تاريخ انقراض نوع بيولوجي، فإنه يستخدم بناءً سردياً لفهم الظاهرة وتفسيرها. ومن هنا، يهتم السرد العلمي بـ: دور الحكيم في إنتاج المعرفة العلمية، تنظيم المعطيات المعقدة، بناء التفسير العلمي، وتبسيط المفاهيم ونقلها. وقد ظهر هذا الاتجاه بقوة مع الدراسات التي أكدت أن السرد ليس مجرد وسيلة لعرض العلم، بل أداة تفسيرية داخل التفكير العلمي نفسه.

ب. خصائصه: بما أن هذا السرد محكوم بطبيعة المادة التي ينقلها، فإن خصائصه تدور حول المرجعية العلمية²:

- المرجعية الواقعية الصارمة: لا مكان فيه للتخييل الحر أو الفانتازيا، فالحبكة والشخصيات خاضعة تماماً لحقائق المختبرات والمعادلات الرياضية.
- الموضوعية المُفسَّحة: رغم أنه يستعين بآليات السرد المشوقة، فإنه يحافظ على حياد المعلومة العلمية ودقتها دون تحريف للحقائق.
- الكونية المفهومية: المادة التي يقصّها (مثل حركة المجرات أو انقسام الخلايا) هي قوانين كونية عامة لا تتغير بتغير الثقافات.
- الطابع التفسيري والوظيفة الإقناعية: يعتمد السرد العلمي على تفسير الظواهر عبر الربط بين الأسباب والنتائج داخل تسلسل زمني ومنطقي، ويبني تفسيراً يجعل الظاهرة قابلة للفهم والتأويل.

¹. Hassan & Oakley, Op. cit، المرجع نفسه.

². ينظر: نادية هناوي، (2020)، المرجع نفسه..

- **المرجعية والتجريب:** يعتمد على الواقع والتجارب الحسية في نمذجة العالم، ويجعله وثيق الصلة بالمعرفة والتجارب الحياتية الواقعية.

3.1.2. السرد التعليمي¹:

- أ. مفهومه ومجاليه:** هو السرد العلمي الذي يتأسس غرضه الأول على التدريس، التلقين، ونقل أي كفاية أو مهارة أو معرفة (ليس بالضرورة أن تكون مادة علمية). ينطلق السرد التعليمي من فرضية بيداغوجية أساسها: "إن بناء الكفاية وتوطين المفهوم يمر حتماً عبر تسهيل البنية التقريرية الجافة للخطاب". فالنص التعليمي لا يسعى إلى خلق "إيهام تخييلي" لغرض الإمتاع الجمالي، بل يستعير المعمار السرد (الشخصية، المكان، الزمنية، العقدة) كوسائل ديداكتيكية (تعليمية) لتسهيل عمليات الفهم والتخزين الذاكري لدى المتعلم.
- ب. خصائصه:** يتحرك هذا السرد في ضوء غايته البيداغوجية والديداكتيكية، وتتمثل خصائصه في²:
 - **القصدية والتعمد الوظيفي:** السرد هنا وسيلة ديداكتيكية مُخطط لها مسبقاً لهدم استغلاق مفهوم معين وتيسير فهمه وليس ترفاً جمالياً.
 - **الاقتصاد المعرفي:** يتسم بـ"تصفية المعلومات" لمنع الإجهاد الذهني حيث يُدار النص بحيث يتطابق التدفق الحكائي مع قدرة الذاكرة البشرية على الاستيعاب.
 - **البعد التواصل والتداولي:** يعمد دائماً إلى نقل المفاهيم المجردة إلى نطاق ملموس وقريب من الخبرة الجسدية واليومية للمتلقى لتسهيل رسوخها في الذاكرة طويلة المدى.
 - **البعد المعرفي والتربوي:** يهدف إلى بناء الفهم وتنمية التفكير والتفاعل، لا مجرد نقل المعلومات.
 - **توظيف التشويق والتدرج:** يستخدم عناصر مثل التسلسل، التوقع، المشكلة والحل، والشخصيات التعليمية، لجعل عملية التعلم أكثر حيوية.
 - **التفاعلية والانفتاح:** يفتح للمتعلم الباب ليكون مشاركاً فاعلاً لا متلقياً سلبياً، عبر تداخل المسارات والاحتمالات.

4.1.2. العلاقة بين السرد المعرفي، السرد العلمي، السرد التعليمي:

تتحدد العلاقة بين هذا الثلاثي المفاهيمي بوصفها "علاقة تكامل بنيوي ووظيفي"، حيث يُمثل أحدهما المنهج، ويُمثل الثاني المادة، ويُمثل الثالث الغاية البيداغوجية.

¹ NAEYC. (2024, December). Introduction: Voices of Practitioners. National Association for the Education of Young Children.

² ينظر: نادية هناوي، (2020)، المرجع نفسه. تم الإطلاع: 13 أبريل 2026. www.naeyc.org/resources/pubs/vop/dec2024/intro

أ. السرد المعرفي بوصفه "المظلة النظرية والآلية المنهجية" (المنهج): دوره في العلاقة: هو "الألة الواصفة" والآلية المنهجية التي تمنحنا الأدوات النقدية لفهم لماذا ينجح السرد في نقل العلوم الصلبة.

ب. السرد العلمي بوصفه "المادة والمتن النصي" (الموضوع): دوره في العلاقة: هو "المتن والتطبيق"، أي المادة الخام والمعرفة العلمية التي سيّلت ونقلت من رصانتها المخبرية الجافة إلى فضاء التداول الإنساني.

ج. السرد التعليمي بوصفه "الغاية والوظيفة البيداغوجية" (الهدف): دوره في العلاقة: هو "الموجه الوظيفي"، فهو الذي يحدد "لماذا" كُتب هذا النص السردى العلمي (من أجل التدريس، التلقين، وبناء المعرفة).

ورغم اختلاف مجالات هذه الأنماط السردية، فإنها تشترك في اعتبار السرد أداة معرفية تتجاوز الوظيفة الجمالية التقليدية. فالسرد المعرفي يفسر الأساس الإدراكي لفعالية السرد، والسرد العلمي يوظفه في تفسير المعرفة العلمية، بينما يستخدمه السرد التعليمي لتيسير التعلم ونقل المعرفة. ومن ثم، فإن هذه الاتجاهات الثلاثة تمثل امتداداً للتحوّل المعاصر الذي نقل السرد من مجال الأدب الخالص إلى مجالات المعرفة والعلم والتعليم بوصفه أداةً تشارك في بناء ما سلف وتنظيمه وتداوله داخل مختلف الخطابات.

2.2. سردنة العلم: من الضرورة النظرية إلى الكفاءة التطبيقية¹

انتقل مفهوم السرد من الرؤية البنيوية الكلاسيكية التي كانت تختزله في "نظام مغلق من العلامات اللغوية داخل النص الروائي"، إلى أفق السرديات المعرفية، حيث أصبح السرد أداة معرفية يعيد الدماغ عبرها ترتيب الواقع والحقائق².

يستدعي التأسيس المنهجي لهذه القضايا ضبط المقاربات الاصطلاحية الحاكمة لمسار الطرح.

1.2.2. مفهوم سردنة العلم:

يشكّل هذا المفهوم الركيزة الإجرائية الأولى هنا، ويُقصد به إعادة الهيكلة التداولية والمعرفية للمضامين العلمية الصورية، عبر نقلها من نمطها البراديمي المجرد إلى قوالب سردية تتوفر على عناصر الفاعلية (Agency)، والسببية الزمنية، والحبكة، وذلك بغرض ملاءمة الرسالة العلمية مع البنية الإدراكية للمتلقى دون الإخلال بصدقيتها المعرفية.

¹. Boston University. (2022, Summer). The power of storytelling. Impact. [/sites.bu.edu/impact/previous-issues/impact-summer-2022/the-power-of-storytelling](https://sites.bu.edu/impact/previous-issues/impact-summer-2022/the-power-of-storytelling)

تم الإطلاع: 13 أبريل 2026.

². Mark Turner, The Literary Mind: The Origins of Thought and Language, (New York: Oxford University Press, 1996), Chapter 1: (Bedtime with Shahrazad) & Chapter 4: (Figured Tales).

وتتلازم مع هذه السيرة غاية فكرية تعرف بالتبسيط المعرفي، ويقصد بها تفكيك الاستغلاق والصلابة البنيوية والتعبيرية للخطاب العلمي المتخصص، وتحويله إلى صيغ مرنة وقابلة للتدفق والتداول الاجتماعي والتربوي. ولمقاربة هذه الديناميكية في عمقها الإدراكي، يبدو من الضروري أولاً رصد الأصول النظرية لها وما يجعل السرد ينتقل من مجرد أداة اختيارية إلى ضرورة حتمية.

2.2.2. الحتمية الإدراكية لسردنة العلم وتأصيلها النظري¹:

أ. الارهاصات التاريخية:

مرّت السرديات بمعطفين تاريخيين كبيرين قادا إلى ولادة هذا المنعطف المعرفي، حيث بدأ التحول الفعلي مع تداخل العلوم الإدراكية وعلم النفس المعرفي مع الأدب. وكان للموجة الأولى من علماء النفس المعرفيين، مثل جروم برونر (Jerome Bruner) في كتابه العمدة «عقول حقيقية، أماكن ممكنة» (1986)، الفضل في التنبيه إلى أن الإنسان يملك نمطين من التفكير: التفكير المنطقي الرياضي (الجاف)، والتفكير السردى. وأثبت برونر أن الدماغ البشري لا يفهم تجاربه إلا إذا وضعها في سياق حكاية، وبذلك فُتح الباب لعلماء الأدب ليدرسوا السرد بوصفه "آلية تفكير".

لاحقاً، تأسست "السرديات المعرفية" كحقل مستقل وممنهج بين عامي 1996 و2002. في هذه الفترة، أعلن النقاد رسمياً تجاوز "السرديات البنيوية الكلاسيكية" (التي قادها جيرار جينيت ورولان بارت، والتي تعاملت مع النص كنظام لغوي معزول)، والانتقال إلى دراسة ما يحدث في عقل القارئ وكيفية تشكيل القصص لجزء من البنية الذهنية الأساسية لـ "البشر المعاصرين إدراكياً"².

ب. أهم النظريات وروادها:

شهدت العقود الأخيرة تحولاً جذرياً في دراسة السرد، فبعد أن كان يُنظر إليه بوصفه ظاهرة أدبية أو بنية نصية فحسب، صار يعتبر آلية معرفية أساسية لفهم العالم وتنظيم الخبرة الإنسانية. وقد أسهم عدد من الباحثين في ترسيخ هذا التصور، فأبرز جيروم برونر (Jerome Bruner) التمييز بين النمط المنطقي والنمط السردى في معالجة المعرفة، مبيناً أن العقل لا يكتفي بالبحث عن الحقائق المجردة، ويحتاج إلى تنظيمها داخل مسارات حكاية تمنحها المعنى. كما كشفت أبحاث ريموند مار وكيث أوتلي (Raymond Mar & Keith Oatley) أن المتلقي لا يستقبل السرد بصورة سلبية، وإنما يعيد تمثيل الأحداث ذهنياً عبر عمليات محاكاة معرفية وعاطفية تجعله يعيش التجربة وكأنه جزء منها.

وانطلاقاً من هذا الأساس، طوّر باحثون آخرون تصورات تفسر قدرة السرد على دعم التعلم واكتساب المعرفة، فقد أوضح مارك تيرنر (Mark Turner) أن العقل يبني الفهم من خلال المزج بين الخبرات المألوفة والمفاهيم المجردة، بينما بيّن ديفيد هيرمان (David Herman) أن السرد

¹ Hassan, A., & Oakley, B. (2025). المرجع السابق نفسه.

² Herman, D. (2003). Interdisciplinary Narrative Theory: A Sketch. In D. Herman (Ed.), Narrative Theory and the Cognitive Sciences (pp. 1-2). CSLI Publications.

يدفع المتلقي إلى بناء عوالم ذهنية تساعد على تنظيم المعلومات وتتبع العلاقات بينها. كما أكدت مونیکا فلودرنيك (Monica Fludernik) أهمية الخبرة الإنسانية في جعل المعرفة أكثر قرباً من المتعلم، في حين فسرت نظريات الأطر والسيناريوهات المعرفية كيفية استيعاب المفاهيم الجديدة عبر ربطها بالمعارف السابقة المخزنة في الذاكرة. وبذلك يتضح أن السرد ليس مجرد وسيلة عرض أو تبسيط، فمع مرور الزمن، تحول إلى استراتيجية إدراكية متكاملة تسهم في بناء المعنى، وتسهيل الفهم، وتعزيز تمثل المعرفة واستبقائها¹.

وصفوة القول، إن التحول الإستمولوجي السالف قد نقل السرد من فضاء النص المغلق إلى أفق العلوم المفتوح، ليتجلى السرد بوصفه إستراتيجية ذهنية غنيا تفسر قدرة المتلقي على تأويل وفهم الخطاب المنظم حكائياً. ولم يعد يُنظر إلى السرد كفعل محايد، بل كعملية توليد معرفي، وبذلك، فإن رصد التطور الإستمولوجي للسرد يثبت أن النص التعليمي والعلمي، حين يستعير أدوات السرد، فإنه في الواقع يفعل هذه الدارات الإدراكية المعقدة لضمان تمثل المعرفة واستيعابها.

3.2. آلية تسيل المعرفة العلمية والتعليمية²:

يراد بالتسييل المعرفي، إجرائياً، إذابة البنى المعرفية الصلبة والمجردة للمفهوم العلمي، وإعادة صبها في قالب حكائي سائل ومألوف يتسرب بسلاسة إلى وعي المتعلم. ومن ثم، لا يقتصر فعل التسييل المعرفي في الخطاب التعليمي المعاصر على تبسيط العبارة اللفظية، ويتعداه إلى هندسة إدراكية واعية تعتمد على ترسانة من الآليات البلاغية واللسانية التي تعمل كحوامل ديداكتيكية.

1.3.2. الرّابط البنيوي والوظيفي بين "السرد" و"التسييل المعرفي":

يوجد رابط بنيوي وثيق بين السرد والتسييل المعرفي، حيث:

أ. السرد كحاضنة ديداكتيكية ووساطة إستمولوجية: السرد في الخطاب التعليمي ليس مجرد غاية جمالية أو حلية أدبية عارضة، فهو إستراتيجية هندسية نصية تُستعار عناصرها البنيوية الكلاسيكية (كالذوات العاملة، والفضاء الزماني والمكاني، والحبكة) لتعمل كحوامل بيداغوجية للمفهوم العلمي الصارم. فبدلاً من تقديم المفهوم كمعادلة مجردة، يُعيد السرد بناءه ديناميكياً في صورة رحلة استكشافية أو مسار صراعي أو حركة فيزيائية مشهدة تدب داخل النص، فيحقق أولى عتبات التسييل عبر إذابة البنية التقريرية الجامدة وتحويلها إلى سيرورة حركية قابلة للتتبع.

ب. مواءمة البنية التطورية والفطرية للدماغ البشري: تؤكد أدبيات علم السرد المعرفي أن الدماغ البشري مبرمج تطورياً وثقافياً لتمثل العالم واستيعاب ظواهره عبر شفرة المحكيات والقصص عبر القوانين الجافة المقترحة منطقياً. بناءً عليه، يغدو السرد الأداة الإجرائية القادرة على تحقيق التسييل المعرفي، كونه يترجم المفاهيم العلمية المستعصية إلى اللغة الفطرية للدماغ، بحيث يربط السرد التجريد المعرفي بالخبرات اليومية والجسدية والحركية المخزونة لدى المتعلم، محولاً تلقي العلم من عبء ذهني قاهر إلى استبصار ذاتي مناسب.

¹. المرجع نفسه، ص 172 – 173.

². ينظر: Boston University، المرجع السابق.

2.3.2. الأشكال السردية وتوظيفاتها التربوية التعليمية¹:

يصنف السرد في تعليم العلوم إلى ثلاثة أنواع رئيسية، لكل منها دور تربوي محدد:

أ. **السيناريوهات الواقعية:** تستند إلى أحداث تاريخية أو ظواهر طبيعية حقيقية، وتهدف إلى "أنسنة" العلم من خلال عرض قصص العلماء وتحدياتهم. تساهم هذه القصص في تعميق الفهم، وتعزيز الثقة، ومحاربة الصور النمطية عن العلم كحقائق جامدة.

ب. **الخيال الواقعي:** يستخدم مواقف يومية قابلة للتصديق لربط المفاهيم العلمية المجردة بحياة الطلاب. أثبتت هذه الطريقة فعاليتها في تحسين التحصيل الأكاديمي، والتحفيز، وتنمية مهارات التفكير النقدي وحل المشكلات.

ج. **الخيال العلمي والافتراضي:** تعتمد على العوالم المتخيلة لاستكشاف المفاهيم العلمية بطريقة إبداعية. توفر مساحة آمنة لمناقشة القضايا الأخلاقية والبيئية المعقدة، لكنها تتطلب دوراً توجيهياً للمعلم لضمان عدم خلط الخيال بالحقائق العلمية. فتكمن القوة التربوية للسرد في تحويل العلم من "مجموعة حقائق" إلى "مسعى إنساني" ممتع، بشرط اختيار القصة المناسبة وتأطيرها بشكل نقدي يعزز الفهم العلمي السليم.

3.3.2. استراتيجيات سردنة العلم وأدوات تسهيله²:

تعد استراتيجيات السرد استجابةً بيداغوجية فعالة للتعقيدات التمثيلية في العلوم. فمن خلال

دمج المحتوى العلمي في قوالب قصصية، يبني المعلمون جسوراً مفاهيمية تربط بين الملاحظات العملية والتفسيرات الجزيئية والتمثيلات الرمزية.

ولا تقف "سردنة العلم" عند حدود التبسيط اللغوي، حيث أنها ممارسة تفكيرية واعية تتطلب "عذّة شغل" إجرائية متكاملة، منها:

أ. **الاستعارة الإدراكية:** لا تحضر الاستعارة كزينة بلاغية لغوية، فهي كأداة معرفية راديكالية تمنح الذاكرة جسراً مرئياً يعبر فوق فجوة التجريد، بربط نطاق الهدف (المجرد) بنطاق المصدر (المادي). فالاستعارة تقوم بتجسيد المجرد، وذلك باستعارة نسق مادي كامل ليُصبّ فيه المفهوم العلمي، مما يخول للدماغ رؤية ما لا يُرى.

كأن تُعامل الخلايا السرطانية مثلاً كـ "عدو ذكي يرتدي أقنعة للاختباء من حراس جهاز المناعة"، ويتحول غشاء الخلية إلى "بوابة مدينة تخضع لرقابة صارمة"، فيرى المتعلم مشهداً محسوساً أكثر.

ب. **المقايضة التناظرية والتشبيه التمثيلي:** تُمثّل المقايضة التناظرية المحرك الإدراكي الأقوى في عملية التسهيل المعرفي، إذ إنها تتجاوز مجرد التشبيه اللغوي العابر إلى إحداث تطابق بنيوي ووظيفي بين عالمين: عالم مألوف لمتلقي المعرفة، وعالم علمي مستغلق ومجرد. فعبر التشبيه

¹. 116, (2025), Hassan and Oakley, المرجع السابق.

². ينظر: المرجع نفسه.

التمثيلي، يتم نقل العلاقات المنطقية والروابط من النظام المؤلف وإسقاطها بالكامل على النظام العلمي المعقد لتفكيك صلابته.

فعند مقايضة النواة والإلكترونات المحيطة بها بالشمس والكواكب الدائرة في فلكها، لا ثمرر صورة جمالية بل ينقل نظام حركي وقوانين جاذبية مستقرة في ذهن المتعلم ونقذف بها في عمق المجهر، وذلك يتيح للوعي البشري استيعاب ما لا يراه عبر ما يراه.

ج. الأنسنة وإسناد الفاعلية الإجرائية: تستثمر هذه الأداة النمط الفطري للدماغ البشري الذي يميل إلى فهم النوايا والمشاعر الإنسانية (نظرية العقل) أسرع بكثير من فهم القوانين الفيزيائية الصماء، حيث تُمنح الكيانات الجافة صفات ورغبات بشرية تحولها إلى ذوات عاملية.

فتصوّر الدماغ ككائن يبحث عن الراحة الفورية فيفرز مخدراً موضعياً ويهرب نحو تصفح الإنترنت لتفادي ألم الذاكرة، يبني رابطاً انفعالياً يسهّل وعي المتعلم بذاته.

د. التجسيد والمشهدية البصرية: نقل الرموز الصورية والمعادلات الجافة إلى فضاء حركي ومساحات مقروءة بالعين الذهنية، فيقلل العبء الإدراكي عبر تشغيل القشرة البصرية للدماغ لتتلقى المفهوم بالصورة لا بالتلقين الأصم.

هـ. إستراتيجية "دراما الاكتشاف والتحري"¹: العلم لا ينزل من السماء كحقائق مقدسة ومصبوغة، بل هو نتاج تخطيط إنساني. هذه الاستراتيجية تعيد صياغة الدرس كحبكة "رواية تحقيق"، تتحدى المتعلمين لحل الألغاز عبر التحليل النوعي، والحسابات الدقيقة، والاستدلال المنطقي. ولهذه الروايات بداية، وسط، ونهاية، وفق الخطوات الآتية:

- الوضع المستقر: اعتقاد العلماء بنظرية معينة لقرون.
- الحدث المحفز (المشكلة): ظهور نتيجة تجربة غريبة تفشل النظرية القديمة في تفسيرها (خلق لغز).
- تصاعد الأحداث: محاولات العلماء الفاشلة، الصراع الفكري، السخرية من الأفكار الجديدة.
- الذروة (الاستبصار): لحظة التجربة الحاسمة التي كشفت الحقيقة.
- الحل: ولادة القانون العلمي الجديد.

فإمكانات السرد القصصي تتجاوز النصوص الطويلة، حيث توفر هيكلية أنشطة الاستقصاء العلمي أرضية خصبة للمعلمين لصياغة سرديات مصغرة مقنعة. وتتبع تقنيات مثل "توقع-لاحظ-فسّر" قوساً سردياً تقليدياً يتألف من: إعداد (التوقع)، وصراع (الملاحظة غير المتوقعة)، وحل (البحث عن تفسير جديد).

¹. المرجع نفسه.

و. إستراتيجية "رحلة البطل"¹: تستعير هذه الإستراتيجية بنية "رحلة البطل" الأسطورية وتُسقطها على مكونات الطبيعة والعلوم المعقدة، مما يعطل المقاومة المعرفية لدى المتعلم ويثبت أدوار العناصر في الذاكرة عبر الانغماس العاطفي داخل المعركة المعرفية.

ككتابة درس الأحياء عن "جهاز المناعة" كملحمة حربية، حيث "الفيروس" وهو العدو الغازي الذي يخترق الحدود (الجلد)، و"خلايا الدم البيضاء التائية" هي كشافة الجيش التي تطلق نداء الاستغاثة، لتتحرك "الخلايا البائية" كالمصانع الحربية لسكّ الأسلحة الذكية (الأجسام المضادة). المتعلم هنا يستغرق عاطفياً في المعركة ويحفظ أدوار الخلايا دون أدنى مجهود تكراري.

ز. إستراتيجية المحكاة السردية الذاتية²: هي أسلوب يُسقط الذاتية الإنسانية على المادة العلمية الجامدة، بحيث تُصاغ المعلومة بضمير المتكلم، فيمنحها مركزية وجودية. الهدف منها "التماهي المعرفي"؛ إذ يندمج القارئ في هوية العنصر المبحوث عنه، فتتحول عملية التعلم من "مراقبة شيء غريب" إلى "عاش تجربة ذاتية". وتتوسل هذه الاستراتيجية بثلاث أدوات رئيسية لضمان ذوبان "الصلابة العلمية" في "السيولة الذاتية"، منها: التقمص الوجودي، الاعتراف السردية...

ح. إستراتيجية "أنسنة السارد": تعتمد هذه الإستراتيجية على التحكم في زاوية الرؤية المعرفية والمسافة بين السارد والمتعلم. فبدلاً من السارد العليم بكل شيء، الذي يتحدث بصيغة الغائب المحايد الصارم، يعتمد النص إلى "أنسنة السارد" ليتحول إلى رفيق تجربة، ويوظف "التبشير الداخلي" حيث نرى العلم بعين المتعلم نفسه، فيكسر الحواجز النفسية ويوجه الانتباه تلقائياً.

هذه الاستراتيجية تجعل المتعلم يشعر أن العلم لا يملأ عليه كحقائق من الأعلى، بل يقود وعيه من الداخل عبر ممر إدراكي نابع من تجربة مشتركة.

ط. إستراتيجية "بناء السيناريو والتأطير": العقل البشري يتهيب المساحات المجردة، والمعادلة العلمية الصماء تظهر في الوعي كجسم غريب هائم في الفراغ. هنا تتدخل أداة "التأطير" لخلق سياق مكاني، واجتماعي، أو تاريخي مألوف على المفهوم الجاف. هذا التأطير يعمل بمثابة "مغناطيس انتباهي" يعطل آليات المقاومة المعرفية لدى المتعلم، لأنه يشعر أنه بصدد قراءة "قصة مغامرة" أو "حدث واقعي"، في حين يتم تهيئة المسرح الذهني خفيةً لاستقبال البيانات العلمية كجزء لا يتجزأ من ديكور هذا الإطار.

أما "السيناريو" فهو تحويل البيانات الساكنة المصنوبة والنتائج المجمدة إلى سلسلة من الأحداث المتتابعة زمنياً وسببياً (إذا حدث (أ) يتولد بالضرورة (ب)). الدماغ البشري مبرمج تدويرياً لفهم "السيناريوهات المشروطة" لأنها تحاكي تجاربه الحياتية اليومية.

عبر "التأطير" وبناء "السيناريو" يتحول العلم الجاف إلى "أفعال وردود أفعال". والمتعلم هنا لا يحفظ خصائص المادة، بل يتبع "مخطط سير حركي" يتوقع من خلاله الخطوة القادمة، مما يحفز الخلايا العصبية القشرية على التنبؤ والمشاركة الفعالة في إنتاج المعرفة بدلاً من استهلاكها سلبياً.

1. المرجع نفسه.

2. المرجع نفسه.

إن دمج الأدوات والاستراتيجيات السابقة يضمن أن المتعلم لن يسأل أبداً: "لماذا أدرس هذا؟ وما فائدته في الحياة؟"، لأن "سردنة العلم" تمنح المعلومة قيمتها التداولية الفورية، ويجعل التسييل المعرفي يتخذ شكلاً انسيابياً أشبه بدفقات الصور السينمائية المنتظمة داخل العقل البشري.

ومجمل القول، إن تفكيك الآليات الإجرائية لـ "سردنة العلم" يكشف عن وجود ترابط بنيوي وثيق بين الطروحات الإدراكية لـ "تسييل المعرفي" والترسنة الاصطلاحية لعلم السرد الكلاسيكي والمعرفي. فالنص التعليمي لا يخترع أدواته من الفراغ، بل يقوم بـ "تأصيل سردي" واعٍ؛ يستعير من خلاله تقنيات بناء الرواية والمحكيات الكبرى (كالحبكة، والذوات العاملة، والتبئير، والوصف)، ليعيد توظيفها كحوامل بيداغوجية تذيب صلابة القوانين العلمية المستغلقة.

بوصول الطرح إلى هنا، يتضح أن السرد انتقل من غرضه الجمالي والتخييلي، ليصير إحدى الآليات الأساسية التي يعتمد عليها العقل البشري في تنظيم المعرفة وفهم العالم. ومن هذا المنطلق، تقوم سردنة العلم على توظيف تقنيات سردية مألوفة، من أجل تقديم المفاهيم العلمية في صورة أقرب لعقل وقلب المتعلم، وتبعث الحياة في عملية التعلم.

وعلى المستوى التعليمي، لا تهدف سردنة العلم إلى تبسيط المعرفة على حساب دقتها أو صرامتها، وإنما إلى إعادة وصلها بالتجربة الإنسانية التي تمنحها معناها. فبدل أن تُقدّم المفاهيم العلمية بوصفها حقائق معزولة وجافة، تصبح جزءاً من مسارات وتجارب يمكن للمتعلم تتبعها والتفاعل معها. وبذلك تغدو السردنة وسيطاً معرفياً يساهم في تخفيف العبء الإدراكي وتعزيز الفهم، ورفع الدافعية التعليمية والتعليمية¹

¹. ينظر: عاطف الصيفي، المعلم واستراتيجيات التعليم الحديث، دار أسامة للنشر، عمان – الأردن، ط1، 2009، ص 34.

الفصل الثاني.

١١
٢٠

ليات السرد المعرفي والسرد التعليمي في كتاب تعلم كيف تتعلم:

تمهيد.

1/ السرد التعليمي في كتاب "تعلم كيف تتعلم".

2/ السرد المعرفي في كتاب "تعلم كيف تتعلم".

خلاصة.

أ. تمهيد: "تعلم كيف تتعلم" .. التمثيل السردى ووظيفته في تبسيط العلوم:

يشهد الخطاب التعليمي المعاصر واحدة من أكبر التحديات، ولا تكمن الإشكالية في نقص المعرفة، بقدر ما تكمن في عزلة المعرفة داخل قوالب تقريرية صلبة تنسم بالحياد والجمود المنطقي. وقد ظلت المناهج والكتب التعليمية الأكاديمية لفترة طويلة من الزمن، وفيه لنمط معرفي تقليدي، يقوم على اختزال العلم في قائمة مهام جافة، ومجموعة قواعد صماء تلقن وتحفظ دون اعتبار للآليات التطورية للدماغ البشري، أو للمسارات الانفعالية التي تحكم الاستبصار المعرفي.

هنا، يأتي كتاب "تعلم كيف تتعلم" لباربرا أوكلي ليكون أكثر من مجرد دليل يشرح طرق الدراسة. إنه نص يحدث اختراقاً حقيقياً في الجمود الفكري، ويحاول بجدية تحويل المعرفة العلمية من مادة جافة إلى تجربة حية، وذلك من خلال سردنة العلم.

1. أزمة الخطاب التقليدي وفشل "القائمة الجافة":

تستند الإشكالية الكبرى للكتب التعليمية التقليدية، التي تعتمد أسلوب التوجيه المباشر إلى مغالطة معرفية، مفادها أن المعرفة مجرد بيانات قابلة للنقل من عقل راشد يملك الخبرة والمعرفة، ولديه التأهيل الكافي لنقلها إلى عقل متعلم يفتقر لتلك الخبرة والمعرفة، بالطريقة التي ترتئها حكمته¹. هذا النمط، الذي يمكن وسمه بالسلوك التلقيني، يتعامل مع الدماغ كخزان يستقبل المعلومات، متجاهلاً حقيقة أنه يعالج الأفكار بعمق أكبر عندما توضع في سياق حكاية أو تمثيلي.

فعندما تُقدم النصائح كقائمة مهام عارية (مثل: اعمل ولا تفعل)، فإنها تُفرغ من سياقها الإنساني، وتغدو معرفةً تفتقر إلى الجذور الانفعالية التي تضمن انتقالها من الذاكرة العاملة المؤقتة إلى الذاكرة طويلة المدى. إن فشل هذه الأدبيات في إحداث تغيير سلوكي عميق لدى المتعلم نابع من عزلها عن إقامة ألفة معرفية بين ذات المتعلم والمفهوم المتعلم، فيترك المتعلم في حالة من الاغتراب النفسي، حيث يرى في القوانين العلمية كيانات غريبة لا تتقاطع مع حركته اليومية أو تجاربه الذاتية².

2. باربرا أوكلي وسردنة العلم كضرورة إدراكية:

1. د. عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 18.

2. Dahlstrom, M. F. (2014)، المرجع السابق.

الفصل الثاني: السرد المعرفي والتعليمي في كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" لباربرا أوكلي.

أعادت أوكلي صياغة النصائح التعليمية، وذلك بأن حولتها من تعليمات صارمة إلى بؤر سردية متحركة. إنها تنطلق من وعي معرفي يدرك أن المفهوم العلمي المجرد يصبح هزياً إدراكياً بالنسبة لمتعلم مبتدئ بدون تمثيل حكاوي.

فبدلاً من مخاطبة عقل المتعلم بمنطق النظريات الصرفة، خاطبت مخيلته الإجرائية، وهكذا، تحولت مفاهيم مثل (النمط المركز، نمط التشتت، والتسويق) من مصطلحات تقنية مقبضة إلى كيانات مشخصة، مسارات حركية، ورحلات استكشاف. إن هذا التحول في بنية الخطاب هو استجابة لتنظيم إدراكي، فالدماغ البشري مبرمج لتفكيك شفرات العالم عبر الحكمة والتمثيل وليس عبر التجريد. **ثانية الوظيفة السردية: بين التوجيه التعليمي والتفسير المعرفي:**

نظراً لطبيعة كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" بوصفه يندرج ضمن أدبيات التبسيط العلمي والإرشاد التربوي، فإن السرد لا يظهر فيه كبنى قصصية مستقلة، فهو إستراتيجيات أسلوبية تؤدي وظيفتين متكاملتين داخل المتن:

أولاً: السرد التعليمي: يستهدف توجيه السلوك، وبناء البروتوكولات الإجرائية، ونمذجة الممارسات البيداغوجية عبر السير الذاتية، والحكايات التاريخية، أو السيناريوهات التطبيقية التي تدفع المتعلم للانخراط الفعلي في التعلم¹

ثانياً: السرد المعرفي: ويستهدف تبسيط وتجسيد العمليات الحيوية والعصبية المعقدة داخل الدماغ (البيولوجيا العصبية للتعلم)، وتحويلها من المفاهيم المجردة الصعبة إلى نماذج بصرية وحكاوية مألوفة يسهل على المتعلم تمثيلها ذهنياً.

تأسيساً على ذلك، لا تتوجه القراءة في هذا الفصل نحو استعراض محتوى الكتاب، بقدر ما تنصب على تشريحه نقدياً عبر ملاحقة هذين المسارين (المعرفي والتعليمي)، عبر تتبع عشر نماذج مفصلية من الكتاب، يضم كل نموذج منها تطبيقاً يعكس إحدى الوظيفتين المعرفية والتعليمية للسرد، موزعة على النحو الآتي:

كتاب: تعلّم كيف تتعلّم (باربرا أوكلي)



¹. ينظر: د. منى السامري، "طريقة السرد القصصي كاستراتيجية لعام 2026 في التعلم النشط." إحصائي | لتحليل البيانات، 14 يناير 2026، <https://ehsaee.com>، تم الإطلاع: يوم 29 ماي 2026.

السيرة الذاتية لأوكلي	الكرة والدبابيس
قصة الفتى وكاسباروف	الزومبي الودودون
قصة سانتياجو رامون إي كاخال	الفضائيون
سيرة رامي الرمح (يجو)	جدار الطوب
تيري الذي كاد يحرق المدرسة	الأخطبوط والانتباه

أ. السرد التعليمي في كتاب تعلّم كيف تتعلم:

يتجاوز السرد التعليمي في كتاب باربرا أوكلي "تعلّم كيف تتعلم" مجرد نقل المعرفة، إلى محاولة أعمق لإعادة تشكيل علاقة المتعلم بذاته، إذ تتحول القصة إلى مرآة (أو نموذج حيّ) يعكس إمكانات التغيير، وهذا يساعد المتعلم على كسر حصار القناعات والتصورات المسبقة، ورسم ملامح هوية علمية جديدة تتجاوز حدود التلقي السلبي وتنتقل به إلى رحاب التلقي الإيجابي¹.

وبناءً على ما سلف ذكره وتحديده، نحن هنا بصدد فحص الكيفية التي استثمرت بها أوكلي القصة كأداة بيداغوجية وديداكتيكية، لا سيما في قدرتها على بناء الهوية العلمية للمتعلّم، من خلال خمس نماذج.

1.1. رحلة باربرا من كره الرياضيات إلى أستاذة هندسة:

1.1.1. تقديم القصة:

تفتتح أوكلي كتابها باعتراف سردي صريح حيث تقرُّ بأنها لم تكن طفلةً تتقن الأرقام، بل كانت تكرهها وتجد في اللغات ملاذها الوحيد. فتصف تجربتها قائلة:

(كرهت الرياضيات والعلوم، لذا تجنّبتُ هاتين المادتين كما لو كانتا سمًا. عندما اضطرت إلى دراسة هاتين المادتين، قمتُ بأداءٍ سيئٍ، أو فشلتُ تمامًا.

أنا الآن أستاذة في الهندسة، هل فوجئت؟ يحتاج المهندسون إلى معرفة عميقة بالرياضيات والعلوم. أنا الآن جيدة حقًا في الرياضيات والعلوم، وأنا أحبهما. كيف فعلتُ ذلك؟ اكتشفت أسرار التعلم بشكل جيد.)²

أوكلي في قصتها الذاتية لا تصف نفسها بأنها ولدت موهوبة، فهي كانت طالبة تعاني من عجز تعلم تجاه الرياضيات لأنها ظنت أنها فاشلة بالفطرة وتعوز عقلا رياضيا. فتصور لنا نفسها وهي تشعر بالدونية أمام المسائل الحسابية وتتهرب منها. ثم تأتي لحظة الاستبصار والإدراك، عندما رأت أنها تحتاج للرياضيات في حياتها، فتقرر أن تمنح نفسها فرصة ثانية في سن متأخرة،

¹. ينظر: د. منى السامري، المرجع نفسه.

². باربرا أوكلي وآخرون، تعلم كيف تتعلم، تز: إيمان سمير، مر: د. داود سليمان القرنة، دار قنديل للطباعة والنشر، دط، ص 15.

ليس عبر عبقرية فطرية، ولكن عبر البدء بأبسط المبادئ كما يفعل الأطفال، متجاوزةً عقدة المتخصص والخبير.

2.1.1. الوظيفة التعليمية للقصة (السلوك المستهدف):

تستهدف القصة تصحيح الاعتقاد الشائع القائم على ثبات القدرات العقلية وارتباط النجاح الأكاديمي بالموهبة الفطرية. كما تسعى إلى معالجة ظاهرة العجز المُتعلّم التي تدفع المتعلّم إلى الانسحاب من مجالات معرفية معينة نتيجة خبرات الفشل المبكرة. وتقدم أوكلي من خلال هذه القصة تصوّرًا بديلاً، يقوم هذا التصور على قابلية القدرات للتطور من خلال الممارسة والتكرار وأساليب التعلم المناسبة، وأن الإخفاق الأولي لا يمثل حكماً نهائياً على إمكانيات المتعلم.

وعليه، تستخدم أوكلي تقنية المفارقة السردية، إذ تقرّ بفشلها السابق لتدلل على كفاءتها الحالية. هذا التباين ينقل سردها من غرضه الجمالي الترفيهي إلى غرض تعليمي، نستشف منه عدة دروس عملية وسلوكية، منها:

- الذكاء ليست ثابتاً نسبياً، فهو قابل للزيادة والنقصان.
- بالتدريب والمران المستمر، يستطيع الفرد اكتساب الخبرة في أي مجال ممكن.

3.1.1. آليات نقل المعرفة/التعليم داخل القصة:

نلاحظ أنه ومن أجل تجاوز الطّرح النظري، اعتمدت أوكلي عدّة تقنيات سردية تدمج الذات في صلب التجربة المعرفية، ومنها¹:

أ. استراتيجية المحاكاة السردية الذاتية: لكنها لم تقدم نصيحة حول المرونة العقلية، حيث قدمت سيرة ذاتية للفشل ولحظات التلعثم العلمي، من خلال إحلال الأنا محل الموضوع، فتقول: (عندما كنت أكبر، كنتُ أحياناً طالبةً سيئة. بالتأكيد، كنتُ جيدة في المواد التي أحببتها...)، (قمتُ بأداءٍ سيئٍ، فشلتُ تماماً.)، (عندما كنتُ صغيرة أحببتُ الحيوانات... ولكن ليس الأرقام، لقد كرهتها.)، (كنتُ أحسّ بالضيق...) ²

فلم تتحدث عن متعلم فاشل عشوائي أو تخيلي، فهي كتبت القصة بلسانها، وهذا ما يخلق علاقة تعاطف عصبية تمنع الدماغ من التعامل مع المفاهيم المعالجة في القصة كجسم خارجي (معلومات غريبة) وتصنفها كخبرة ذاتية (معلومات مألوفة).

ب. إستراتيجية رحلة البطل للانطلاق في التعلّم: تسرد تجربة شخصية كنوع من السرد الذاتي الواقعي، وتقدمها على شكل حبكة ملحمية، حيث استخدمت هيكل رحلة البطل الذي يواجه التنين، والثنين هنا هو عقدة الرياضيات. إنها تحول عملية التعلم من واجب مدرسي إلى رحلة

¹. ينظر: Katherine J. Morris, "Dramatic Irony, Narrative and the External Perspective," Royal Institute of Philosophy Supplements 86 (2020): 177-204

². باربرا أوكلي، المرجع نفسه، ص 15 – 20 – 21.

الفصل الثاني: السرد المعرفي والتّعليمي في كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" لباربرا أوكلي.

استرداد للذات. هذا التحويل يجعل الهدف من القصة مرتبطاً بتغير الهوية، فالتغير هنا يمس المعرفة ويتجاوزّه إلى مس هوية المتعلم أمام العلم.

وعند تحليل رحلة أوكلي من منظور "البطل" يكشف لماذا تحولت حياتها نصياً إلى ملحمة تعليمية:

- العالم العادي (نقطة الصفر): تقديم نفسها كفتاة تكره الرياضيات، متمسكة بحبها للغات.
 - نداء المغامرة: الشعور بالحاجة لتعلم ما كان يُظن أنهمستحيل بالنسبة لعقلها.
 - رفض النّداء/المقاومة: الصّراع الداخلي والخوف من الفشل.
 - عبور العتبة: لحظة القرار بالبدا من الصفر، والاعتراف بالحاجة للتعلّم كطفل صغير، وهي اللحظة التي تخلت فيها عن كبرياء الخبير لصالح تواضع المبتدئ.
 - الأداة السحرية: المفاهيم التي اكتشفتها أصبحت هيا السلاح السحري لهزيمة الرياضيات.
 - الانتصار والعودة: عودتها لتعلم الآخرين كيفية تعلم التعلّم.
- ج. تحطيم الجدار الرابع والتّماهي عبر الأنا الساردة: فاستخدام الضمير المخاطب (أنت) في قولها: (هل فوجئت؟)، (لديك موهبة خاصة للتعلّم. عندما تطلق لها العنان وأنت ما زلتَ شاباً، ستستمتع

بآثارها طوال حياتك)، (الحقيقة أنه لا بأس بتتبع شغفك...)، (حان دورك الآن...) ¹

يعمل كأداة نداء إدراكي مستمر. فالمتعلم، حين يُخاطب مباشرة، ينتقل من حالة التلقي السلبي إلى حالة التلقي الإيجابي. هذا الاستخدام يقلص المسافة بين النص والمتعلم، ويجعله يشعر بأن الكتاب يوجه له أسئلة شخصية، ويفرض عليه حضوراً ذهنياً لا مفر منه.

وعندما تستخدم أوكلي ضمير المتكلم (أنا)، في قولها مثلاً: (وجدتُ أيضاً أن توسيع مواطن شغفي يفتح العديد من الفرص الرائعة)، (أكتفي بهذا القدر من الحديث عني... وسأريك ما يحدث عندما يصبح تعلمك محبطاً...) ²، هي تتحدث عن أنا مجرّبة، ما يساهم في تحويل المفهوم (العجز المتعلّم) إلى خبرة حياتية.

مما سبق، يتضح أن هناك عدة استراتيجيات (المحاكاة السردية الذاتية، رحلة البطل وكسر الجدار الرابع والتّماهي) تتضافر حيث كل استراتيجية تقوم بدور إبستمولوجي محدد بمساعدة

¹. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 15 – 25.

². المرجع نفسه، ص 25.

الفصل الثاني: السرد المعرفي والتعليمي في كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" لباربرا أوكلي.

المتعلمين على استغلال أقصى قدراتهم للتعلّم¹، وهو التحول البنائي الذي يهدف السرد لغرسه في أذهانهم، عبر:

- أ. المحاكاة: التي تبني الجسور (التعاطف والذاكرة).
- ب. رحلة البطل: التي تمنح الدافعية (تغيير الهوية).
- ج. كسر الجدار الرابع والتماهي: الذي يضبط المسافة بين المعلم والمتعلم (تقليص المسافة المعرفية)

4.1.1. دور السرد في نقل المعرفة التعليمية²:

تعرض أوكلي نفسها بوصفها نموذجاً واقعياً للقدرة على تجاوز الصعوبات التعليمية. فالقصة تعرض نتائج النجاح، وتكشف المسار الذي أدى إليه، وبذلك تصير أقرب إلى نموذج تعليمي قابل للاقتداء، وهنا يظهر الدور التعليمي للسرد من خلال:

- أ. تفكيك سلطة الخبير وتقليص المسافة المعرفية: ساعد السرد أوكلي على التخلي عن موقع المعلم المتعالي والسلطوي، وتقدّم نفسها كمتعلّمة مُجَرِّبة، فتخفف الإحساس بالدونية لدى المتعلم وتحوّل السلوك المراد إيصاله إلى تجربة إنسانية قابلة للاكتساب لا خطاباً سلطوياً مغلقاً، فإذا نجحت هي وغيرها في المحاولة، فإن المتعلم يستطيع النجاح.
- (لقد تعلم "شريكي في التأليف" كيف يتعلم بطريقة غير عادية... نريد مشاركتك الدروس حول كيفية تعلم دماغك بشكل أفضل...)³.

- ب. إعادة صياغة الهوية العلمية للمتعلّم: ينقل السرد المتعلم من هوية العاجز المستسلم إلى هوية المستكشف المنطلق القادر على التغيير، إذ تعمل القصة كنموذج احتذاء واقتداء يكسر الحواجز النفسية، ويحول المعرفة من عبء ثقیل إلى رحلة استرداد للذات.

- ج. توظيف العاطفة لخدمة الفهم وتحقيق انخراط المتعلم: في قصة أوكلي، استخدمت اعترافها بالخوف والضياع كعامل جذب، فأدى إلى تحقيق نوع من التعاطف الذي يرفع الانخراط المعرفي ويجعل المتعلم أكثر استعداداً لاستقبال المعلومات التقنية التي تلي ذلك، فالمتعلم غالباً ما يشعر بالخوف أمام المفاهيم الصارمة، وعندما تسرد أوكلي تجربتها فإنها تجعل ما تريد إيصاله ودوداً بعض الشيء. هذا يكسر التوجس الوجداني الذي يعيق التعلّم، فالخوف هو العدو الأول للتعلّم.

¹. ينظر: د. عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 22.

². ينظر: د. منى السامري، المرجع نفسه.

³. باربرا أوكلي، المرجع نفسه، ص 24.

د. دعم التفسير وبناء المعنى: في قصة أوكلي فككت ظاهرة العجز المتعلّم دون اللجوء إلى تعريفات القواميس، وإنما عبر سرد كيف كانت تشعر هي شخصياً. هذا الربط جعل المعنى شخصياً للمتعلّم، فإذا كان الطالب يمر بموقف مشابه، سيجد في القصة تفسيراً لحالته.

2.1. ماغنوس كارلسن الفتى المشتت ضد كاسباروف اللاعب المشهور:

1.2.1. تقديم القصة:

تفتتح باربرا أوكلي عرضها من خلال شكل معين من السرد، وهو السرد الواقعي الذي يستحضر قصة فتى في الثالثة عشرة من عمره، والذي يعاني مشكلة عويصة وهي "التشتت"، وهو يواجه لاعب الشطرنج الخبير والشهير غاري كاسباروف. المدهش في القصة أن المباراة لا تنتهي بهزيمة الفتى كما يُتوقع، والمباراة انتهت بالتعادل، رغم الفارق الهائل في الخبرة والقدرة والتركيز بينهما. حيث نرى:

الفتى يمثل: الوضع المشتت.

اللاعب الشهير يمثل: الوضع المركز.

(من المثير للدهشة أن كاسباروف لم يفز بمباراة الشطرنج. لقد انتهت بالتعادل. لم يستطع أن يهزم من بدا أنه لاعب مشتت في الثالثة عشرة من عمره.)¹

هذا الاختيار السردى لا يقدّم بوصفه واقعة للتسلية، إذ يعمل كخدمة تعليمية أولى تهدف إلى زعزعة التصورات المسبقة حول حدود التركيز والذكاء، وتحفز مهارات المتعلم الإبداعية ومزجها بالأكاديمية².

2.2.1. الوظيفة التعليمية للقصة (السلوك المستهدف):

تعمل القصة بوصفها مدخلاً لإعادة تشكيل الفهم التقليدي للعمليات الذهنية. فهي تقوّض الفكرة الشائعة التي تربط النجاح العقلي بالتركيز الصّارم، وتلمّح إلى أن ما يبدو تشتتاً قد يحمل في داخله

إمكاناً إبداعياً غير مرئي. فيتعلّم القارئ ما يلي:

• التشتت الإيجابي جزء من عملية التعلم والإبداع.

• أخذ فترات راحة ذهنية تساعد على زيادة الإنتاج وتنمية الملكة الإبداعية.

حيث تقول: (تشتت الانتباه دائماً سيئ. أليس كذلك؟

ربما لا؛ لنر).

¹. المرجع نفسه، ص30.

². د. محمد عبد السلام، استراتيجيات التدريس الحديث: دليل المعلم الناجح، مكتبة نور، د ط، 2021، ص 34.

(تتمثل رسالة هذا الفصل في أنه في بعض الأحيان تحتاج أن تكون أقل تركيزاً حتى تصبح متعلماً أفضل. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟)¹

3.2.1. آليات نقل المعرفة/التعليم داخل القصة:

تتجاوز الممارسة السردية التعليمية لأوكلي حدود التبسيط العلمي، لتؤسس لبنية سردية تُمارس وصايةً إدراكيةً على المتلقي، من أدوات سيطرة داخل النص لا يشعر بها، منها:

أ. استراتيجية الصدمة السردية² وخلق أفق التوقع لخلخله المعرفة وبناء الاستعداد والقابلية: حيث وظفت قصة كاسباروف والفتى المشتت لتعمل ككسر للرتابة، وأفق التوقع لدى المتعلم، فهي تزرع في القارئ قناعةً بأن اللامنطقي (التشتت) قد يتفوق علماً بالمنطقي (التركيز)، ويهيئ الدماغ لاستقبال السلوك الجديد كحلٍ للغز طرحته القصة في البداية.

ب. استراتيجية التأطير الزمني والسيناريو للانفتاح على الجديد والاشراك التفاعلي³: تستخدم أوكلي تقنية لزمّن السرد كآلية للتأطير الإدراكي، حيث تفتتح الفصل بسردٍ تاريخي ليعمل كإطار للماضي، يمنح القارئ شعوراً بالدهشة والانفتاح على اللامستحيل. ثم سرعان ما تنقل القارئ إلى زمنٍ مضارع مستمر، فتفرض عليه سيناريو إجرائي يجب عليه تأديته، فكسرت الجمود بين معلّم "عارف" ومتعلّم "غير عارف".

ولم تكتفِ أوكلي بوصف الوضعين وإنما جعلت القارئ مصمماً للمسارات. حيث تقول: (على سبيل المثال، عندما تواجه مسائل الضرب.... عندما تتعلم شيئاً جديداً... يجب أن تركز عليه...)، (أنت تكون في وضع التشتت عندما يكون دماغك مستريحاً وحرّاً... أنت لا تفكر في شيء على وجه الخصوص...)، (لنلعب الكرة والدبابيس...)⁴

ونلاحظ أنّ ما ساعدها على هذا بشكل أساسي، هو استعمالها للتخاطب المباشر، حيث وظفت أوكلي الضمير المخاطب وصيغ الأمر والاستفهام التوجيهي والاستباقي بكثرة وبطريقة توحى بأن الإجابة الوحيدة المنطقية هي ما ستطرحه هي لاحقاً، ذلك حتى تشجع عمليات التفكير والحث على المشاركة⁵.

¹. باربرا أوكلي، المرجع نفسه، ص 29-30.

². Dahlstrom, M. F. (2014)، المرجع نفسه، تاريخ الإطلاع: 20 أبريل 2026.

³. المرجع نفسه.

⁴. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 30-32.

⁵. ينظر: د. عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 42.

(ربما طلبت أنت من نفسك أن تركز...)، (أنت تكون في وضع التشتت... أنت لا تفكر في شيء...)، (تخيّل أن كرتك تترك أثرا...)، (إليك طريقة ممتعة للتعرف على الفرق بين الوضعين)، (إذا كان التبديل بين الأوضاع مهما للغاية، فكيف نقوم به؟)¹

4.2.1. دور السرد في نقل المعرفة التعليمية²:

يظهر الهدف الصريح للسرد، باعتباره من المكونات الأساسية لأي تعليم أو تعلم، في هذه القصة عبر عدة نقاط:

- أ. خلق الاستعداد الذهني وتعزيز المرونة الذهنية: إنّ كسر التوقعات يُفرغ الذاكرة من القوالب الجامدة (مثل فكرة أن التركيز هو الحل الوحيد)، ويجعل الدماغ في حالة توفُّع إيجابي لاستقبال المفهوم كحلٍّ للغز لا كعبٍ معرفي، هذا ما يدفع المتعلم إلى التخلي عن موقفه الساكن/السلبى تجاه التعلم، وتحرضه على تبني موقف متحرك/إيجابي يتقبل التناقضات.
- ب. إلغاء الاغتراب المعرفي ورفع الانخراط العلمي-التعليمي: حيث تتلاشى المسافة السلطوية بين الخبير والمتعلم، والمسافة التقديرية بين العلم والمتعلم. هذا التلاشي يلغي شعور البعد عن المعرفة، ويشجع على الفضول العلمي ويدعم المشاركة الفعالة.
- ج. توظيف العاطفة لخدمة العلم: فالخطاب المباشر يذيب المسافة بين "المعلم" و"المتعلم"، ويشعر المتعلم أنه هو من استنتج المعلومة بنفسه، فيمنحه شعوراً بالملكية الفكرية للمفهوم، ويقلل من مقاومته للتعلم.

3.1. سانتياجو رامون إي كاخال، من "الولد الشرير" إلى جائزة نوبل:

1.3.1. تقديم القصة:

تقدّم أوكلي سيرة سانتياجو رامون إي كاخال بوصفها نموذجاً دالاً على تشكّل العبقريّة خارج القوالب التعليمية التقليدية، إذ يظهر في طفولته بوصفه "الولد الشرير" الذي يعاني ضعفاً في الذاكرة ولا ينسجم مع النظام المدرسي الصارم ولا يستجيب بسهولة لطرائق التلقين السائدة.

(كره المدرسة. لم تكن لديه ذاكرة جيدة ما صعب عليه أن يتعلم بالطريقة التي أراده المعلمون أن يتعلم بها... كره الرياضيات بشكل خاص، ولم يفهم الهدف منها...)، (فاز سانتياجو في النهاية بجائزة نوبل... أصبح مؤسس علم الأعصاب الحديث. أصبح «الولد الشرير» سانتياجو رامون إي

كاخال واحداً من أعظم العلاء في كل العصور!)¹

¹. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 29 – 35.

². ينظر: د. منى السامري، المرجع السابق.

فلاحظ أن الكاتبة تستخدم هذه السيرة ضمن رؤية نقدية لما تسميه "ميثولوجيا العبقرية" و"الذكاء الفطري"، حيث يُعاد التفكير في العلاقة بين التفوق العقلي وأنماط التعليم. ومن خلال هذا العرض، يتكشف كيف أن نفور كاخال من الرياضيات واللغات لم يكن مؤشراً على محدودية قدراته، وإنما نتيجة مباشرة لأساليب تدريس جامدة لم تراعى خصوصية طريقته في الفهم والاستيعاب.

2.3.1. الوظيفة التعليمية للقصة (السلوك المستهدف):

وتوظّف هذه السيرة كمدخل إقناعي يهيئ المتعلم لإعادة النظر في فكرة الفشل الدراسي، ويفتح المجال أمام تصور أكثر مرونة لمسارات تعلم تحفز الذاكرة، وذلك من خلال:

- إبراز دور المثابرة في إعادة تشكيل معنى الموهبة.
- دعم المتعلم الذي يمر بتجارب تعثر وفشل باعتبارها مراحل مؤقتة داخل مسار النجاح.
- تبني فكرة أن ضعف الذاكرة أو السلوك غير المنضبط في الطفولة لا يحدد مستقبل الفرد.
- تعزيز مبدأ أن التفوق العلمي يُكتسب تدريجياً عبر الجهد المستمر والتدريب وليس عبر الاستعداد الفطري وحده.
- ترسيخ حقيقة التعلم بوصفه عملية ذاتية وتعتمد على المتعلم وابتكاره لطرقه الخاصة بعيداً عن القوالب الجاهزة التي تفرضها المؤسسة التربوية.

3.3.1. آليات نقل المعرفة/التعليم داخل القصة²:

أ. استراتيجية الفجوة والتباين الصادم في شخصية البطل: حيث يظهر تباين الحالتين الولد الشرير/المشاغب مقابل العالم العظيم/الحائز على نوبل، وهي آلية سردية لكسر الحتمية لدى المتعلم. هذا التباين الحاد يعمل كصدمة إدراكية تجبر المتعلم على البحث لمعرفة سبب هذا التغيير وكيفية.

ب. استراتيجية تحويل قصة إلى نموذج تماثلي: بما أن كاخال عانى من صعوبات لغوية وحفظ سيئ، وهي تحديات مشتركة لدى معظم الطلاب، فإنها تحوله من مجرد شخصية تاريخية إلى معادل موضوعي للطالب نفسه. هذا التماثل يقلل أي مقاومة تجاه السلوك الجديد، ويجعل الطالب يرى في ممارسات كاخال (التدريب، المثابرة) دليلاً عملياً قابلاً للتطبيق في يومه الدراسي.

¹. باربرا أوكلي، المرجع نفسه، ص 65.

². Dahlstrom, M. F. (2014)، المرجع نفسه، تاريخ الإطلاع: 20 أبريل 2026.

ج. استراتيجية إعادة التأطير السردية: فبدل سرد الأحداث، تعيد أوكلي تأطير الشغب والفشل كمادة خام للتعلّم. إنها تقلب المفهوم السائد في البيئة المدرسية، فبدلاً من أن يكون الفشل إدانة، يصبح في هذا السرد مؤشراً على الحاجة إلى أسلوب تعلم مختلف.

- الفجوة والتباين الصادم في شخصية البطل: يعالج عائق اليأس من القدرات.
- النموذج التماثلي: يعالج عائق الشعور بالاغتراب عن المادة العلمية/التعليمية.
- إعادة التأطير: يعالج عائق نظرة الطالب للفشل والخوف منه.

4.2.1. دور السرد في نقل المعرفة التعليمية¹:

أ. تغيير زاوية الرؤية تجاه بعض المفاهيم (العجز/المثابرة...): فالسرد هنا يعيد تأويل العجز/الفشل

ويعطي للمثابرة وزنها الحقيقي، ليخفف من سلطة الحكم النهائي على قدرات المتعلم لنفسه، ويعيد فتح احتمالات التطور بدل إغلاقها.

ب. تعزيز الدافعية للتعلّم عبر بناء بعد شخصي قابل للنقل: يؤكد علم النفس التربوي على أهمية الدافعية، وضرورة استثارتها حتى تؤدي إلى زيادة الاستعداد والتركيز والاهتمام بالموضوع المدروس. والسرد هنا يدفع المتعلم إلى الرغبة في التعلم عبر نموذج حيّ للتحوّل. فالقصة هنا تشغل كقوة إقناعية غير مباشرة، تجعل التعلم يبدو ممكناً وممتداً وقابلاً للتجربة الشخصية، ويكون المتعلم حينئذ أكثر قابلية للمشاركة في التعلم وأكثر حيوية ونشاطاً².

ج. ربط الأسباب بالنتائج داخل الواقع المعيش: يعمل السرد هنا كحلقة وصل بين التعلّمات الجديدة والحياة المعيشة، هذا يجعل المفهوم العلمي يكتسب وزناً وجودياً ووجدانياً، فالطالب لا يلقي أن الدماغ يتغير بالتدريب ولا يحفظ ذلك، وإنما يرى ذلك في حياة كآخ.

د. تفسير الظواهر داخل إطار قصصي: فالسرد يعيد تأطير المعرفة داخل تجربة إنسانية قابلة للتماهي ويحوّل الفكرة من مجرد تقرير نظري (عن المثابرة والموهبة) إلى قصة حياة يمكن للمتعلّم أن يراها وقيس نفسه عليها، بهذا يصبح فهم الجديد مرتبطاً بالتجربة والحياة اليومية.

هـ. تبسيط التعقيد العلمي وتسهيل التمثيل الذهني: هذه النمذجة تعمل كجسور معرفية تغني المتعلم عن إهدار طاقته في حفظ المصطلحات التقنية المعقدة في مراحل التعلم الأولى، وتوجه كامل طاقته لفهم الآليات الأساسية وتجعلها أسهل للتذكر مع التكرار.

4.1. السيد يوتيوب: يوليوس يجو والتعلّم الذاتي

1. ينظر: د. منى السامري، المرجع السابق.

2. ينظر: د. عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص40.

1.4.1. تقديم القصة:

تطرح أوكلي في هذا النموذج قصة يوليوس يجو، الرياضي الذي استطاع أن يصبح بطلاً في رمي الرمح رغم غياب الدّعم المؤسسي التقليدي، من مدربين أو خبراء أو بنية تحتية متطورة. وإنما بسبب مبادرته للتعلم بنفسه، عبر مشاهدة فيديوهات "اليوتيوب" واستغلال المتاح. (بالعودة إلى يوليوس يجو. كيف استمر في التحسن؟ لم يكن لديه مدرب، أو كل المزايا

الموجودة في البلدان الأغنى: علاء الرياضة وعلماء النفس وخبراء التغذية.

إليك الشيء المفاجئ في يوليوس. لقد أصبح بطلاً من خلال مشاهدة الكثير من مقاطع الفيديو على موقع يوتيوب YouTube التي تعرض مقاطع لرمي الرمح ثم تجربتها بنفسه.¹

لا تسرد أوكلي القصة بغرض تعظيم إنجاز الرياضي، فهي تُوظفها كحالة دراسية لتقويض الاعتقاد السائد بأن النجاح مرهون بالموارد الخارجية أو الرعاية المؤسسية، فتصير مثالا حيا للتعلم الذاتي، فمشاهدة يوليوس لمقاطع الفيديو على يوتيوب وتجربتها بشكل متكرر ليست مجرد هواية، تلك كانت طريقته في عملية بناء معرفي ذاتي.

2.4.1. الوظيفة التعليمية في القصة (السلوك المستهدف):

تتجاوز الوظيفة التعليمية هنا مجرد سرد قصة ملهمة كما سبق، لتستهدف تغيير اعتقاد سائد لدى المتعلم حول مصادر المعرفة والنجاح، ويظهر ذلك في التشجيع على:

- تحمل المسؤولية الشخصية عن التعلم والتطور الذاتي.
 - المبادرة إلى البحث عن المعرفة خارج الأطر التعليمية التقليدية.
 - استثمار الموارد المتاحة بدل التركيز على ما هو مفقود والتحسر عليه.
 - النظر إلى النجاح بوصفه حصيلة ممارسة وتراكم خبرات وليس نتيجة امتيازات مسبقة.
- فهذا المثال يثبت أن النّجاح ليس منحةً فطرية أو هبة اجتماعية، إنما هو محصلة ممارسة مستمرة، وأن المرء قادر على التعلم والتحسين بنفسه إذا ما أصر وثابر وعمل بنفسه واستفاد مما حوله. وهذا هو النوع من التعلم هو التعلم الذاتي الذي يقوم فيه المتعلم بنفسه بالمرور بالمواقف المتنوعة وحشد كفاءاته لاكتساب معلومات أو كفاءات جديدة دون عون مباشر.²

3.4.1. آليات نقل المعرفة/التعليم في القصة:

¹. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 173.

². ينظر عاطف الصفي، المرجع السابق، ص 221.

الفصل الثاني: السرد المعرفي والتعليمي في كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" لباربرا أوكلي.

تتجاوز أوكلي عند هذه النقطة السرد المحض للوقائع، لخلق بيئة إدراكية تفاعلية تجذب القارئ وتدمجه في صيرورة التعلم النشط¹، وذلك عبر:

أ. استراتيجية دراما الاكتشاف التشاركية: حيث حوّلت أوكلي موضوع التعلم الذاتي من تقرير

جاف إلى تجربة ميدانية يشارك فيها المتعلم، فتقوده لاكتشاف قانون التعلم من خلال قصة "يوليوس ييجو"، وبدلاً من سرد حياته كحدث تاريخي للوصول إلى عبرة، حولته إلى خطوات إجرائية تثبت أن الفاعلية الذاتية تنتج عن الممارسة والمبادرة. وتُصاغ رحلة يوليوس ييجو كحبكة "دراما اكتشاف" وفق بنية تحقيق كالاتي:

- تقديم اللغز: كيف أصبح يوليوس بطلاً عالمياً دون مدرب أو موارد؟
 - تصاعد الأحداث عبر الصعوبات: صنع الرماح من الغصون، غياب الإمكانيات.
 - "الذروة": التعلم عبر الإنترنت.
 - انتهاء بـ "الحل": تأسيس قانون أن الفاعلية الذاتية تتفوق على الدعم المؤسسي.
- هذه الحبكة تجعل الهدف (أهمية الفاعلية الذاتية) نتيجة لحبكة إنسانية وتقربها من المتعلم.

ب. استراتيجية المعادل الموضوعي للصراع: تحويل فشل وافتقار يوليوس للموارد إلى معادل موضوعي للصعوبات التي يواجهها أي طالب يفتقر للمصادر أو العزيمة، فتصير قصة يوليوس "سيناريو حياة" متاحاً للاحتذاء والتطبيق.

ويلاحظ أن أوكلي استخدمت يستبدل المصطلحات الصارمة بالأوامر الإجرائية، وهو نوع من الخطاب السلطوي الضمني، مثل:

(لماذا أخبرك بهذا؟ إنها قصة ملهمة)، (التمرين ليس فقط جيداً لكل عضو في جسمك. إنه لأمر جيد لدماعك أيضاً؛ إنه يحسن الفهم، صنع القرار والتركيز. وهو يساعد في التذكر والتبديل بين المهام).²

وهذا يساعدها على الانتقال من شرح كيفية عمل الدماغ إلى إدارة السلوك، حيث تتحول من عالمة إلى موجهة سلوكية بنبرة إجرائية لا تحتل النقاش، لأن ذلك ضروري لإكساب المتعلم السلوك المرجو والنظرة الصادقة له³.

4.2.1. دور السرد في نقل المعرفة التعليمية¹:

¹. ينظر: المرجع نفسه، ص 232.

². باربرا أوكلي، المرجع نفسه، ص 173 – 174.

³. ينظر: عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 88.

الفصل الثاني: السرد المعرفي والتّعليمي في كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" لباربرا أوكلي.

يؤدي السرد أهم وظيفة تعليمية هنا وهي إعادة تعريف العلاقة بين المتعلم والمعلم والمعرفة (أقطاب العملية التعليمية التعلمية). فبدل النظر إلى التعلم بوصفه عملية تعتمد أساساً على المعلم أو المؤسسة التعليمية والمعرفة، يقدم نموذجاً يجعل المتعلم فاعلاً رئيساً في بناء معارفه وتطوير مهاراته، وذلك عبر:

أ. **تعزيز روح المبادرة وترسيخ مبدأ التعلم الذاتي:** تقدم القصة نموذجاً عملياً للمتعلّم يبرهن أن التطور والتميز يمكن أن يتحققا بالممارسة المستمرة والبحث الفردي. كما تُشجعه على أخذ زمام تعلمه بيده وتعليم نفسه بنفسه وفقاً لاستعداداته وقدراته بدل انتظار الظروف المثالية أو المساعدة الخارجية².

ب. **توظيف العاطفة لخدمة الفهم:** عبر استثارة الدهشة والإعجاب بقصة نجاح غير متوقعة. ما يزيد انتباه القارئ، ويعزز دافعيته لتقبل الفكرة التعليمية التي المراد ترسيخها، وهي إمكانية التعلم الذاتي وتجاوز صعوبة الظروف ومحدودية الموارد.

ج. **تنظيم المفاهيم في تسلسل سببي:** وهو تسلسل واضح يربط بين المبادرة الفردية والممارسة المستمرة والنجاح. وتعلم بناء هذا النوع من التسلسل ذهنياً يزيد من نجاعة عملية التعلم الذاتي ويشجع المتعلم على الثقة بذاته وبقدرته على التعلم³.

5.1. تيري الذي أوشك أن يحرق المدرسة:

1.5.1. تقديم القصة:

تترك أوكلي المجال لزميلها في التأليف، تيري، ليحكى قصته المختلفة عن قصتها نسبياً، فقد كا الفتى الذكي الموصوم بمثير الشغب في المدرسة الثانوية، لكنه لم يكره العلم، وإنما كان يتجاوز بفهمه وقدراته ما يطرح عليه. وتبدأ القصة حين يروي تيري كيف أوشك على حرق المدرسة نتيجة تجاربه الفيزيائية غير المنضبطة.

(عندما كنت في السابعة من عمري، صنعت بركائناً من الورق أدى لتشغيل جرس إنذار الحريق. كان على الجميع في المدرسة تنفيذ عملية الإخلاء. وهم يتذكرون جميعاً اليوم الذي أوشكت على إحراق المدرسة فيه!)⁴

ولا يقدم تيري نفسه، عبر هذا الطرح الكوميدي الساخر، كنموذجٍ للعبقريّة الجامدة، بل كمستكشفٍ عابرٍ للتخصصات، فهو ينتقل لاحقاً من الفيزياء (حيث درس الجاذبية والثقوب السوداء)

¹. ينظر: منى السامري، المرجع السابق.

². ينظر: عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 87.

³. ينظر: المرجع نفسه، ص 226.

⁴. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 159.

إلى علم الأحياء (ليفكك أسرار الدماغ) دون تمهل أو خوف من الخطأ، فرغبته في الفعل والتجريب كانت أقوى من قيود النظام المدرسي، فيبرز تحول طاقة الشغب لديه إلى طاقة فضول وبناء علمي.

إنها قصّة تربط معرفي تُظهر أن لا شيء يدرسه المرء يذهب سُدى، فهو تراكم معرفي وطاقوي ينتظر لحظة التوظيف المناسبة.

2.5.1. الوظيفة التعليمية في القصة (السلوك المستهدف):

تسعى هذه القصة إلى تعديل نظرة المتعلم إلى ثلاث نقاط هي: الخطأ والتجريب والفضول المعرفي، وتتجلى وظيفتها التعليمية في:

- إعطاء شرعية للفضول العلمي والمعرفي، وهذه من أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المتعلم بالضرورة.
- إعادة الاعتبار للمحاولة والخطأ، إذ أنها من أهم ممارسات الاكتشاف.
- الانفتاح على تخصصات مختلفة وتجربة الجديد، وذلك عبر التشجيع على استثمار الخبرات السابقة في سياقات ومواقف معرفية جديدة.
- الخبرات والمهارات التي يكتسبها الفرد في مرحلة ما قد تجد قيمتها الحقيقية في سياقات لاحقة وغير متوقعة، لذا لا يجب اعتبار أي تعلم جديد غير مهم.

3.5.1. آليات نقل المعرفة/التعليم في القصة:

في هذه القصة تحديداً، تكرر عدة آليات واستراتيجيات سردية مما سبق، مثل: استراتيجية المحاكاة السردية الذاتية، رحلة البطل، المفارقة السردية، وإعادة التأطير. مع ذلك تبرز آلية جديدة ومهمة ومتعمدة، هي:

أ. آلية التبني الذاتي: القصة تسرد من داخل تجربة تيري نفسه، أي عبر "أنا السارد"،

فتصير المعرفة مرتبطة بوعي شخصي وتجربة معيشة بدل معلومة خارجية مجردة. هذا

القرب من الذات يمنح الحدث طابعاً حياً ومباشراً وليس شكلاً تربوياً مبهماً.

ب. كما ونلاحظ أن القصة تمر عبر مسار حالة - تحوّل واضح:

- الحالة الابتدائية: شغب وتجارب غير منضبطة
- التحول: فضول علمي ← دراسة الفيزياء ← الانتقال إلى العلماء الأحياء
- الحالة النهائية: باحث يفكك أسرار الدماغ.

هذا التسلسل يري المتعلم العلاقة بين البدايات (الأسباب) والنهايات (النتائج)، ويمنحه نموذجًا لتطور الهوية المعرفية عبر الزمن، بعيدا عن صرامة المنهج الأكاديمي وتوقعاته، فحاجات ورغبات واهتمامات المتعلم هي أساس تقرير المنهج وليس العكس¹.

5.2.1. دور السرد في نقل المعرفة التعليمية²:

إن جوهر الدور التعليمي للسرد هنا هو تحويل نظرة المتعلم إلى الخطأ والاختلاف والفضول من عناصر سلبية إلى موارد معرفية يمكن البناء عليها، ويبرز هذا الدور بشكل أكبر في:

أ. **تنشيط الوكالة الذاتية في التعلم:** فالسرد هنا لا يخبر المتعلم ماذا يجب أن يفعل، بل يقدم المتعلم بوصفه صاحب مبادرة وقدرة على توجيه مساره المعرفي بنفسه، وهذا يعزز الشعور بالقدرة على الفعل، إذ يرى أن التعلم لا يرتبط دائمًا بالمناهج والمؤسسات، ويمكن أن يبدأ ببساطة من فضول الفرد وقراراته الشخصية.

ب. **تقليل مقاومة عملية التعلم عبر تطبيع الخطأ والتجريب:** فيزيل الخوف من التجريب والخطأ، ويحول المدرسة من مساحة تقييم المساحة استكشاف مفتوحة.

وعند هذه النقطة، يمكننا تلخيص ما سبق في جدول تحليلي، يركز على السلوك المستهدف والدور التعليمي للسرد:

الجدول 01: جدول القصص ورسائلها والدور التعليمي للسرد:

¹. ينظر: د. عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 223.

². ينظر: منى السامري، المرجع السابق.

الفصل الثاني: السرد المعرفي والتعليمي في كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" لباربرا أوكلي.

ومن زاوية أشمل، يمكن القول إن هذه القصص جميعًا لا تهدف أساسًا إلى إضافة معلومات

الرسالة التعليمية المباشرة	الدور التعليمي للسرد	القصة
العجز المتعلم ليس قدرًا ثابتًا، ويمكن تجاوزه بالممارسة واستراتيجيات التعلم المناسبة.	تفكيك المعتقدات السلبية حول القدرة الذاتية وإعادة بناء الثقة بإمكانية التغيير.	قصة أوكلي
التشتت ليس دائمًا نقيض التركيز، بل قد يسهم في الإبداع وحل المشكلات.	توسيع فهم المتعلم لآليات التفكير وإعادة تقييم التصورات الشائعة عن التعلم الناجح.	قصة الفتى وكاسباروف
القدرات العقلية قابلة للنمو، والنجاح ثمرة تدريب ومثابرة لا موهبة فطرية فقط.	تعزيز عقلية النمو وتغيير نظرة المتعلم إلى الفشل والصعوبات التعليمية.	قصة كاخال
يمكن للإنسان أن يتعلم ذاتيًا ويطوّر نفسه بالاعتماد على المبادرة الشخصية والموارد المتاحة.	تنشيط الوكالة الذاتية في التعلم وترسيخ الشعور بالقدرة على توجيه المسار المعرفي.	قصة يوليوس يجو
الفضول والتجريب والاختلاف قد تكون منطلقًا للنجاح العلمي والمعرفي.	خلق بيئة ذهنية منفتحة على الاستكشاف، وإعادة تأويل الاختلاف والفضول بوصفهما موارد للتعلم لا عوائق أمامه.	قصة تيري

جديدة إلى ذاكرة المتعلم، بقدر ما تسعى إلى تهيئة البنية الذهنية التي يستقبل من خلالها المعرفة، فهي تعدّل المعتقدات والتصورات المسبقة حول التعلم والذكاء والنجاح، فتجعل المتعلم

أكثر استعداداً لتقبّل الاستراتيجيات التعليمية وتؤسس لعلاقة حميمة مع المعارف الجديدة التي تعرضها أوكلي لاحقاً¹.

ب. السرد المعرفي في كتاب تعلم كيف تتعلم:

تبرز قيمة السرد باعتباره إحدى الآليات المعرفية التي يعتمد عليها العقل في فهم العالم وبناء المعنى. فالمعارف الإنسانية لا تستقبل عادة بوصفها وحدات معزولة من المعلومات، وإنما تُنظم داخل أنماط وعلاقات تسمح للذهن بربطها بخبراته السابقة، وتمثلها بصورة أكثر اتساقاً. ومن هنا اكتسب السرد اهتماماً متزايداً في الدراسات المعرفية المعاصرة التي سعت إلى تفسير دوره في تنظيم المعرفة، وبناء النماذج الذهنية، وتسهيل عمليات الفهم والتذكر والاستدعاء.

وفي الخطاب العلمي والتعليمي، تزداد أهمية هذا البعد المعرفي للسرد عند التعامل مع المفاهيم المجردة أو النظريات المعقدة، إذ يتيح تحويلها إلى مسارات وعلاقات وتجارب قابلة للتمثيل الذهني. وإذا كان السرد التعليمي قد تجلّى في الكتاب عبر قصص وتجارب شخصية استهدفت تعديل سلوك المتعلم ومواقفه تجاه التعلم، فإن السرد المعرفي يتخذ مساراً مختلفاً، إذ ينصرف إلى تسهيل فهم المفاهيم العلمية ذاتها وتنظيمها داخل الوعي. ولتحقيق هذا الغرض، تلجأ أوكلي إلى بناء نماذج تخيلية تستعير عناصر مألوفة من الحياة اليومية، فتتحول إلى بنى سردية رمزية، مثل نموذج: الكرة والدبابيس، والزومبي الودودين، وغيرها من التمثيلات.

1.1. الكرة والدبابيس ومسارات التفكير في الدماغ:

1.1.1. تقديم القصة/النموذج:

تلجأ أوكلي عند شرح نمطي التفكير المركز والمشتت إلى استعارة لعبة الكرة والدبابيس، وتوظيفها كنموذج بصري وحركي لتمثيل الكيفية التي تنتقل بها الأفكار داخل الدماغ. (طاولات الكرة والدبابيس تشبه دماغك إلى حد ما... عندما تكون بعض المصدات قريبة من بعض، يشبه ذلك دماغك في حالة التركيز...)

(الوضع المشتت... في هذا الوضع، تكون بعض مصدات الطاولة بعيدة عن بعض...)²

فبدل أن تشرح المفهوم بلغة الأعصاب والمصطلحات العلمية، تطلب من القارئ أن يتخيل كرة صغيرة تتحرك داخل مسار مليء بالدبابيس، حيث تمثل حركة الكرة مسار التفكير، بينما تمثل الدبابيس الشبكات العصبية والروابط المعرفية المتشكلة داخل الدماغ. وبهذا تنتقل العملية الذهنية من مستوى التجريد العلمي إلى مستوى يمكن للقارئ أن يتخيله ويراه ويتبعه خطوة بخطوة.

1. ينظر: عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 33.

2. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 34 – 35.

1.2.1. الوظيفة المعرفية للنموذج (المفهوم المستهدف):

يستهدف هذا النموذج:

- توضيح أنماط التفكير والعلاقة بين نمطي التفكير المركز والمشتت.
- شرح كيفية تشكل الروابط العصبية أثناء التعلم.
- حل المشكلات على مستوى الدماغ.

فالمفهوم المراد نقله هنا، كما هو ملاحظ، مفهوم عصبي مجرد يصعب على المتعلم إدراكه مباشرة، لذلك تستبدله أوكلي بصورة محسوسة تسمح له بفهم حركة الأفكار وانتقالها بين المسارات الذهنية المختلفة، وإدراك دور كل من التركيز والاسترخاء في إنتاج الفهم والإبداع.

3.2.1. آليات نقل المعرفة/المفهوم داخل القصة:

ينتقل المفهوم في نموذج الكرة والدبابيس عبر تحويل الفكرة العلمية من صياغة مجردة إلى تجربة تخيلية موجهة. وذلك بـ:

أ. الاستعارة الإدراكية كآلية تنفيذية:

تُعدّ استعارة الكرة والدبابيس ذروة التمثيل الرمزي عند أوكلي، لأنها تنقل شرحها من مستوى التشبيه البسيط إلى مستوى بناء نموذج ذهني كامل لعمل الدماغ. فعندما تقارن بين طاولة الكرة والدبابيس وحالة الدماغ في نمطي التفكير، فإنها تقرب الفكرة وتدفع القارئ إلى رؤية التفكير كحركة فعلية داخل فضاء يمكن تخيله.

في هذا النموذج، يصبح الدماغ أشبه بطاولة تتحرك فيها الأفكار مثل كرة تتغير اتجاهاتها حسب قرب أو بعد العوائق، فتغدو المفاهيم العصبية المعقدة أكثر قابلية للفهم من خلال صورة حسية مباشرة. ولا يبقى هذا النموذج في مستوى التشبيه التوضيحي فحسب، ويتحول عبر التوظيف السردى المتكرر إلى استعارة ممتدة، تُعيد تشكيل تصور المتلقي للدماغ بوصفه نظامًا حركيًا قابلاً للمحاكاة. ويعمل عبر آليتين واضحتين:

- **التجسيد البصري للمفهوم:** تحويل العمليات العصبية غير المرئية إلى صورة مادية مألوفة يمكن تخيلها بسهولة.

- **بناء نموذج تشغيلي مبسط:** تُستعار قواعد اللعبة (قرب المصدات أو بعدها) لتأطير آلية عمل الدماغ، بحيث تُقدّم هذه القواعد بوصفها منطقًا يحكم نمطي التفكير (المركز والمشتت)، فيعزز تحويل الاستعارة إلى نموذج تفسيري شبه وظيفي.

4.1.2. دور السرد في نقل المعرفة العلمية¹:

¹. ينظر: منى السامري، المرجع السابق.

- يؤدي السرد الرمزي في هذا النموذج عدة وظائف معرفية متكاملة:
- أ. **تجسيد المفاهيم المجردة:** إذ تتحول العمليات العصبية غير المرئية إلى حركة مادية يمكن تخيلها ومتابعتها.
 - ب. **بناء تقنية المحاكاة الذهنية وتنشيطها:** يحظى المتعلم، إضافة للشرح، إلى دفعة تُشغّل داخل ذهنه نموذجاً حركياً يحاكي مسار الفكرة داخل الدماغ، وهذا يدعم الفهم لديه.
 - ج. **المزج المفاهيمي:** حيث تُدمج خبرة مألوفة (لعبة الكرة والدبابيس) مع مفهوم علمي معقد آليات التفكير والتعلم، فينشأ معنى جديد أكثر سهولة للفهم.
 - د. **تقليل العبء المعرفي:** لأن النموذج الرمزي يغني عن سلسلة طويلة من الشروحات العصبية والتجريدات النظرية.
- ومن ثم لا تعمل استعارة الكرة والدبابيس بوصفها محض تشبيهاً عابراً، وإنما بوصفها نموذجاً معرفياً مصغراً يعيد بناء المفهوم العلمي داخل وعي المتعلم في صورة سردية وحركية قابلة للتمثل والاستدعاء.

2.2. الزومبي الودودين والعادات التلقائية:

1.2.2. تقديم القصة/النموذج:

تستعمل أوكلي صورة الزومبي الودودين لشرح الكيفية التي تعمل بها العادات داخل الدماغ. فالزومبي في المخيال الشعبي كائن يؤدي أفعالاً متكررة بصورة آلية ودون تفكير واع (لأنه بلا مخ)، وهو ما تستثمره الكاتبة لتقريب فكرة العمليات الذهنية التلقائية التي تتولى تنفيذ كثير من الأنشطة اليومية والتعلمية بعد تكرارها مرات كافية.

(ها هي الأخبار الجيدة.... سيساعدك الزومبيون الداخليون على التعلم... لكن من الجميل أن تتخيل وجود جيش من الزومبيين الصغار، يعملون بجد من أجلك. أعدك. تحتاج إلى تكوين صداقات معهم. لذلك، نحن بحاجة إلى آلة الكرة والدبابيس، وحفنة من الزومبيين الودودين...!)¹.

وتستعير أوكلي هذه الشخصية التخيلية لتوضح أن جزءاً مهماً من التعلم يعتمد تحويل المهارات والمعارف إلى أنماط أداء تلقائية، تتكفل بها شبكات عصبية اعتادت تنفيذ المهمة. فينتقل المفهوم من مستوى التجريد العلمي إلى مستوى الخبرة اليومية، وهكذا يصبح ما يحدث داخل الجهاز العصبي، وهو أمر يستحيل على المتعلم رؤيته مباشرة، قابلاً للتصور من خلال شخصيات تقوم بالعمل في الخلفية بينما ينصرف الوعي إلى مهام أخرى.

2.2.2. الوظيفة المعرفية للنموذج (المفهوم المستهدف):

¹. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 48.

على الرغم من أن كثير من المتعلمين يتصورون أن الأداء الجيد، في جوهره، يتعلق بالتركيز الواعي المستمر، ويعتقدون أن تكرار المهمة يساوي بالضرورة بذل الجهد نفسه في كل مرة. نجد أوكلي تستهدف بهذا النموذج بناء فهم جديد لمفهوم العادة والتلقائية الذهنية وتعديل التصورات المسبقة، من خلال:

- إبرار الدور الذي تؤديه العادات في الاقتصاد المعرفي للدماغ. فالمهارة لا تبقى معتمدة على الانتباه الواعي إلى الأبد، وتنتقل تدريجياً إلى مستوى أكثر تلقائية يسمح بتنفيذها بأقل قدر من الجهد الإدراكي.
- توضيح أن التكرار ليس مجرد وسيلة للحفظ فقط، فهو آلية لإعادة تنظيم العمل الذهني، بحيث تتولى الزومبيات الودودة تنفيذ الإجراءات المتكررة، وتترك للوعي مساحة أكبر للتفكير والتحليل وحل المشكلات الجديدة.

فالمتعلم، مهما كان نشيطاً ومجتهداً، لا يستطيع معالجة جميع المهام بوعيه الكامل طوال الوقت، لذلك يعتمد الدماغ على بناء أنماط سلوكية وإجرائية جاهزة تسمح له بأداء بعض الأنشطة دون استنزاف موارده.

3.2.2. آليات نقل المعرفة/المفهوم داخل القصة:

يعتمد نموذج الزومبي الودودين على تحويل العمليات الذهنية المجردة إلى شخصيات فاعلة داخل عالم تخيلي مبسط، بحيث ينقل المتعلم إلى التفاعل مع كائنات وشخصيات يسهل تخيلها واستحضارها، بدل التعامل مع مصطلحات عصبية معقدة. وذلك من خلال:

أ. **التشخيص والأنسنة:** حيث تُمنح العمليات العصبية المجردة صفات كائنات متحركة قادرة على الفعل والعمل. فأوكلي ابتكرت جيشاً من الزومبيين الصغار ككيانات ذات إرادة وقدرة على العمل بجد من أجل المتعلم، بدلاً من التعامل معهم كخلايا عصبية. إضافة إلى أنها لم تهمل نفي التوحش عنها بإلحاق صفة الودودين أو السيئين بالزومبيين: الإلهاء = زومبي سيئ، الحل = زومبي ودود.

وهذا ينزع دلالات الرعب المرتبطة بهم في الثقافة الشعبية، ويعيد تأطيرهم كأدوات مساعدة مألوفة.

ب. السرد الرمزي: وهنا تحولت العادة إلى شخصية سردية يمكن تتبع دورها داخل النص. فالمتعلم، عوض أن يلقن تعريفاً أو تفسيراً تقريرياً، يتخيل كائنات تعمل بالنيابة عنه، وهكذا يضغط نظام عصبي معقد في صورة رمزية واحدة سهلة التذكر والاستدعاء.

4.2.2. دور السرد في نقل المعرفة العلمية¹:

يتجاوز دور السرد في هذا النموذج شرح العادة أو الملاحظة، إلى الاسهام في إعادة تشكيل العلاقة بين المتعلم مع عملية التعلم نفسها. وذلك من خلال:

- أ. تبسيط المفاهيم العصبية المعقدة: نقل فكرة التلقائية والعادة من مستوى التفسير العلمي المجرد إلى صور سردية مألوفة وسهلة الفهم والاستيعاب.
- ب. إعادة تشكيل العلاقة الوجدانية مع التعلم: تخفيف التوتر المرتبط بالملاحظة والعادات الدراسية من خلال تقديمها في إطار مرح وغير مهدد، وهذا يساعد على تحقيق الانخراط المعرفي.
- ج. تعزيز قابلية التذكر والاستدعاء: فالمتعلم يتذكر الزومبي الودودين بشكل أسهل من تذكر الشروحات العصبية الخاصة بالذاكرة الإجرائية والعادات.
- د. تحويل التعلم إلى تجربة تفاعلية: إذ يصبح المتعلم مشاركاً في عالم رمزي يتعامل مع شخصيات وأدوار، بدل أن يكتفي بتلقي المعلومات بصورة تقريرية.
- هـ. تقليل العبء المعرفي: عبر اختزال شبكة من العمليات العصبية والسلوكية المعقدة في نموذج سردي واحد يسهل استيعابه.

وبذلك يؤدي السرد وظيفة تتجاوز نقل المعلومة إلى تغيير طريقة إدراكها والتفاعل معها.

3.2. سلاسل الدماغ والمرح مع مخلوقات الفضاء!

1.3.2. تقديم القصة/النموذج:

وعلى غرار النماذج السابقة، تلجأ أوكلي من جديد إلى عالم تخيلي مصغر لشرح بنية الدماغ وآلية التعلم، فتدعو المتعلم إلى تخيل العصبونات بوصفها مخلوقات فضائية صغيرة تتواصل فيما بينها وتكوّن شبكات ومسارات مع مرور الوقت.

(لفهم العصبونات، يمكنك التفكير في المخلوقات الصغيرة القادمة من الفضاء الخارجي).²

كما تشبه الروابط العصبية بمسارات تتشكل تدريجياً داخل الغابة، فكلما تكرر المرور عبرها أصبحت أوضح وأسهل استخداماً. ومن خلال هذا النموذج، تنتقل من الحديث عن الدماغ باعتباره جهازاً بيولوجياً معقداً إلى الحديث عنه كفضاء حركي يمكن للتعلم أن يتخيل مكوناته ويتابع

¹. ينظر: د. منى السامري، المرجع السابق.

². باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 66.

تحولاتها. وهكذا يصبح تكون المعرفة عملية مرئية تقريبا بعيدا عن كونها سلسلة من التفاعلات العصبية الغامضة.

وكل ذلك كان عبر استعمال لغة مطمئنة ومباشرة، بدون أي لف أو دوران، فنقول:

(أولا، دعونا نتعلم القليل عن الدماغ.)

(تذكّر، هذا مخلوق فضائي؛ لا يبدو مثلنا!)

(هكذا، لقد فهمت للتو عملية تمرير العصبونات للإشارات!)

(دعنا نعد مرة أخرى إلى أصدقائنا، العصبونات الفضائية).¹

2.3.2. الوظيفة المعرفية للنموذج (المفهوم المستهدف):

تسعى أوكلي هنا إلى تصحيح التصور الشائع الذي يربط النجاح الأكاديمي بالموهبة الفطرية أو الذكاء الثابت، فتوظف استعارة المخلوقات الفضائية والمسارات الدماغية لتوضيح أن:

- التعلم لا يحدث دفعة واحدة، ومن أبرز مميزات أنه تدريجي ويكتسب عبر الممارسة والتكرار.
- تؤدي الخبرات المتراكمة إلى تقوية الروابط العصبية وتسهيل استدعائها.

وبذلك يشرح النموذج مفهوم المرونة العصبية، ويعيد تأطير الفشل والصعوبة التعليمية بوصفهما مرحلة طبيعية في بناء المعرفة، وليست دليلا على محدودية القدرات. كما يعزز لدى المتعلم الشعور بقدرته على تطوير مهاراته وإحداث تغيير فعلي في طريقة عمل دماغه من خلال التعلم المستمر، وهذا هو جوهر النموذج بأكمله.

3.3.2. آليات نقل المعرفة/المفهوم داخل القصة:

عند هذه النقطة، يظهر وبشكل جلي تنويب الفجوة بين التجريد العلمي والواقع الملموس بتوظيف أدوات سردية تحفز الذاكرة، على غرار التشخيص والرّمز، وأهمها:

أ. استراتيجية "النمذجة بالاستعارة"²: تعتمد أوكلي على بناء نماذج ذهنية عبر استعارات مادية،

لتحويل العمليات البيولوجية غير المرئية إلى كيانات ملموسة. ووظفت في هذا الفصل استعارتين رئيسيتين لتقريب المفاهيم العصبية:

- استعارة المخلوقات الفضائية: استخدمت الكائنات الفضائية كاستعارة لتمثيل العصبونات في الدماغ.

¹. المرجع نفسه، ص 66 – 69.

². Dahlstrom, M. F. (2014)، المرجع السابق، تاريخ الإطلاع: 20 أبريل 2026.

• استعارة مسار الفأر: استخدمت مسار الفأر في الغابة كاستعارة لتمثيل السلاسل الدماغية وعملية التّعلم.

إضافة إلى ما سبق، نلاحظ أن أوكلي تعتمد إلى تسمية استعاراتها باسمها، مثل اعترافها بأنها تستخدم مخلوقات الفضاء كاستعارة للخلية العصبية.
(نحن نحب الاستعارات!)

(في كتابنا، ستقابل العديد من الاستعارات: الزومبييون والسلاسل والفئران والأخطبوطات. سنستخدم الاستعارات لنقدم لك إحساسًا أفضل بالعلم).¹

ثم تنتقل من مجرد شرح الاستعارة إلى تمكين المتعلم من إنتاج استعاراته الخاصة وتعديلها أو استبدالها، بما يجعلها أدوات شخصية للفهم. وبهذا يتحول المتعلم من متلقٍ للمعرفة إلى فاعل في بنائها، عبر استخدام نماذج ذهنية يطوّر ها بنفسه.

(عندما لا يبدو أن الاستعارة تعمل بعد الآن، يمكنك التخلص منها. يمكنك العثور على استعارة جديدة لمساعدتك في فهم أعمق. يمكنك أيضًا استخدام استعارات مختلفة لمساعدتك في فهم فكرة واحدة. هذا ما فعلناه بالضبط عندما قلنا إن مجموعة متصلة من العصبونات تشبه سلسلة الدماغ، أو مثل مسار الفأر في الغابة).²

4.3.2. دور السرد في نقل المعرفة العلمية³:

يسهم السرد المعرفي في هذا النموذج في إعادة تشكيل فهم المتعلم لبنية الدماغ وآلية التعلم عبر مجموعة من الأدوار المتداخلة، نلخصها في:

أ. **تنشيط الخيال المعرفي:** حيث يصير أداة لفهم ما لا يمكن رؤيته مباشرة، ويسهل تمثيل المفاهيم المجردة.

ب. **تنشيط الوكالة الذاتية في التعلم:** فالمتعلم يخرج منه فهم كيف يعمل الدماغ، إضافة إلى فهم أن بمقدوره المشاركة في إعادة تشكيله، ويتحول من متلقٍ للمعرفة إلى فاعل في بنائها بعد اكتسابه أدوات إجرائية جديدة.

ج. **تعزيز الاستقلالية المعرفية وكسر التبعية للمعلم:** يمنح المتعلم الوكالة المعرفية لاستخدام مختلف الأدوات الذهنية وتطويرها، إذ يساعده بوضعه في مركز العملية الإبداعية¹، ويجعل من استيعاب المفاهيم المعقدة عملية بناء ذاتي لا مجرد تلقين خارجي.

¹. المرجع نفسه، ص 77.

². المرجع نفسه، ص 78.

³. ينظر: د. منى السامري، المرجع السابق.

4.2. كيفية بناء جدار من طوب التعلم

1.4.2. تقديم القصة/النموذج:

تطرح أوكلي استعارة جديدة، وهي جدار الطوب الخاص بالتعلم، وهناك كل معلومة جديدة هي طوبة، والنوم هو الملاط (الإسمنت) الذي يثبتها. وتُشبه عملية اكتساب المعرفة ببناء جدار تدريجياً، تُضاف فيه لبنة صغيرة في كل مرة يتعلم فيها المتعلم فكرة جديدة أو ينجز تمريناً أو يعيد مراجعة مفهوم.

ولا يظهر هذا الجدار دفعة واحدة، حيث يتشكل ببطء عبر التكرار والممارسة، وتمثل كل محاولة فهم أو تدريب الطوبة التي تضاف إلى البنية الكلية. ومع الوقت، يتحول هذا البناء الجزئي إلى منظومة معرفية متماسكة يمكن الاعتماد عليها.

2.4.2. الوظيفة المعرفية للنموذج (المفهوم المستهدف):

يستهدف هذا النموذج شرح طبيعة التعلم التراكمي وكيفية تشكل المعرفة عبر البناء التدريجي وليس الفهم اللحظي، لذا فالمفهوم المركزي هو الممارسة المتباعدة والاستدعاء النشط، ويظهر ذلك عبر توضيح أن:

- التعلم القوي لا يحدث في جلسة واحدة، ويحتاج إلى طبقات زمنية (أيام) يتخللها النوم.
- يجب على المتعلم سحب وحشد المعلومة من الدماغ بدلاً من مجرد النظر إليها وانتظارها، وهذا ما يعرف بالاستدعاء النشط.
- ظاهرة النسيان ظاهرة طبيعية تلتهم الشوكات التغصنية إذا لم يتم تثبيتها بالممارسة الآنية والمتباعدة.

3.4.2. آليات نقل المعرفة/المفهوم داخل القصة:

ونلاحظ هنا أن أوكلي عمدت إلى تقنيات التجسيد المذهلة التي اعتادت على توظيفها، مثل:

أ. الاستعارة الإدراكية: تحويل التعلم إلى عملية تشييد مادي (جدار/طوب) لتنظيم المعرفة بوصفها وحدات صغيرة تُضاف تدريجياً بدل دفعة واحدة، وجعل القارئ يشعر بالمسؤولية تجاه هندسة دماغه.

ب. التجسيد المادي للمفهوم: جعل الفهم شيئاً يبني ويلمس وليس مجرد أفكار ذهنية محضة.

ج. المحاكاة الزمنية: ربط التعلم بإيقاع زمني بطيء ومتراكم يعكس تطور المهارة.

4.5.2. دور السرد في نقل المعرفة العلمية²:

1. ينظر: د. عاطف الصيفي، المرجع السابق، ص 246.

2. ينظر: د. منى السامري، المرجع السابق.

يؤدي السرد في هذا النموذج دوراً معرفياً يتجاوز التمثيل البصري للتعلم، ليعيد تنظيم تصور المتعلم لآلية بناء المعرفة عبر:

أ. تحويل المعرفة إلى بنية قابلة للتتبع الذهني والتمثل الوجداني: فتصير عملية التعلم أقرب إلى مسار مرئي يمكن تخيله خطوة بخطوة، فيسهل على المتعلم إدراك كيف تتصل المفاهيم ببعضها داخل بناء واحد متماسك.

ب. تعزيز رؤية التعلم كنظام متكامل: يوجّه المتعلم نحو فهم التعلم كمنظومة تراكمية مترابطة، تتشكل فيها الكفاءة وتكتسب المعلومة من خلال تكرار البناء وتكامل الوحدات المعرفية الصغيرة.

ج. ربط المفاهيم المجردة بسياقات واقعية مألوفة: تنقل المفاهيم العلمية من فضاء التجريد إلى خبرات حياتية يمكن للمتعلم التعرف عليها، وهكذا يصير الفهم أقرب من الإدراك اليومي وأسهل في الاستيعاب.

5.2. أخطبوطات الانتباه الخاصة بك!

1.5.2. تقديم القصة/النموذج:

تستعين أوكلي بصورة الأخطبوط لتقريب بنية الذاكرة العاملة وكيفية تشكل الترابطات المعرفية داخل الدماغ. فهي تبعد عن تقديم الذاكرة كمخزن صلب للمعلومات، وتمثلها بكائن حي متعدد الأذرع، تتوزع منه أذرع معرفية تمتد نحو مفاهيم متعددة في الوقت نفسه.

(تخيلاً أخطبوط انتباه صغيراً في حقيبة مدرستك العقلية. إنه يسمح لك بتثبيت الأفكار في عقلك. الأخطبوط الخاص بك يصنع شرارة كهربائية صغيرة في نهاية كل من أذرع. هذا يساعده في «التحدث» إلى الخلايا العصبية).¹

وبهذا التصوير، يصبح الفهم عملية تشبه حركة الأخطبوط داخل فضاء معرفي: كل ذراع يمثل رابطاً أو مساراً ذهنياً، وكلما تقوى الترابط بين المفاهيم ازدادت قدرة الأذرع على الوصول إلى المعلومات واستدعائها بسرعة.

2.5.2. الوظيفة المعرفية للنموذج (المفهوم المستهدف):

المفهوم الجوهرى الذي يستهدفه النموذج هو محدودية الذاكرة العاملة مقابل اتساع الذاكرة طويلة المدى، ويمكن تصنيفه كالتالى:

- **الذاكرة العاملة:** محدودة بـ 4 فتحات (أذرع الأخطبوط)، وتتطلب تركيزاً مستمراً لإيقاظ الأخطبوط، ومعرضة لفقدان المعلومات (انزلاق الأذرع).

¹. باربرا أوكلي، المرجع السابق، ص 116.

• **الذاكرة طويلة المدى:** هي الخزانة الضخمة التي لا تمتلئ، حيث يتم تخزين المعلومات على شكل سلاسل عصبية معقدة.

كما يهدف النموذج، بشكل أساسي أيضا، إلى توضيح أن ضعف الذاكرة ليس خللاً في القدرة، وإنما نتيجة ضعف في عدد الروابط أو تكرار استخدامها. لذلك يُعاد تأطير الذاكرة بوصفها بنية قابلة للتقوية عبر الممارسة والتكرار.

3.5.2. آليات نقل المعرفة/المفهوم داخل القصة:

استخدمت أوكلي عدة تقنيات لشد انتباه المتعلم، وحفر المفاهيم الجديدة في ذهنه، منها:

أ. **التجسيد:** تحويل العملية العصبية المجردة إلى أخطبوطينام ويستيقظ ويمسك بالمعلومات، فجعلت المتعلم ينخرط في هذه العملية ويفهمها.

ب. **القياس والتشبيه التمثيلي:** وذلك عبر ربط المفاهيم البيولوجية بأدوات مألوفة (الحقيبة، الخزانة، ألعاب الفيديو، أحجية الصور). هذا الأخطبوط هو في حد ذاته أداة لجذب الانتباه وتثبيت المعرفة.

ج. **توظيف الوصف البصري:** وصف الشرارات الكهربائية في نهاية أذرع الأخطبوط يعطي القارئ صورة ذهنية حركية للنشاط العصبي.

إضافة إلى أنها عمدت إلى إنشاء نوع من التشويق المعرفي، من خلال طرح الأسئلة التفاعلية لإشراك المتعلم في التعلم، فنتحول النظرية إلى تطبيق عملي لحظي.

4.5.2. دور السرد في نقل المعرفة العلمية¹:

يعمل السرد هنا، زيادة على دوره الترفيهي، كنوع من المخطط الذهني، وهو يساعد على:

أ. **تبسيط التعقيد وزيادة التركيز والانتباه:** فبدلاً من شرح الناقلات العصبية والفص الجبهي بمصطلحات علمية جافة، جعلت أوكلي من السرد وسيلة للتعلم بالتجربة والسؤال. المتعلم الآن يدرك أنه عندما ينسى، فإن أخطبوطه قد غط في النوم، مما يقلل من القلق ويزيد من الوعي بالذات والثقة بالقدرات.

ب. **التحفيز وتعزيز الدافعية للتعلم:** من خلال الإشارة إلى أن أخطبوطات الانتباه تختلف من شخص لآخر، وأن ألعاب الفيديو قد تساعد في استعادة مرونتها، قدمت أوكلي أملاً وأداة عملية للتحسين، فينتقل المتعلم من دور المتلقي إلى دور المطور لقدراته العقلية.

ويمكن تلخيص النماذج السردية الرمزية في السرد المعرفي، وفق الجدول أدناه:

¹. ينظر: د. منى السامري، المرجع السابق.

الجدول 02: جدول النماذج السردية، مفاهيمها ووظائف السرد المعرفية.

خلاصة:

النموذج السردى	المفهوم المعرفي المستهدف	الوظيفة المعرفية للسرد
الكرة والدبابيس	آليات التفكير (الوضع المركز/المشتت)	تبسيط عمل الدماغ عبر نموذج بصري ميكانيكي يجعل أنماط التفكير قابلة للتصور والفهم كحركة منظمة داخل نظام واحد
الزومبي الودودين	العادات، التلقائية، والمماثلة	إعادة تأطير العادات بوصفها كيانات قابلة للتوجيه، وتقليل الطابع السلبي للمماثلة عبر تحويلها إلى تجربة رمزية قابلة للإدارة
المخلوقات الفضائية	المرونة العصبية وبناء المسارات العصبية	تجسيد بنية الدماغ بوصفه نظامًا حيًا قابلاً لإعادة التشكيل، بما يعزز تصور قابلية التعلم والتطور المستمر
جدار طوب التعلم	التعلم التراكمي وبناء المعرفة	تقديم التعلم كعملية بناء تدريجي متراكم، مما يعيد تنظيم تصور المتعلم للمعرفة بوصفها مشروعًا طويل المدى
أخطبوطات الذاكرة	الذاكرة العاملة والروابط المعرفية	تحويل الذاكرة إلى شبكة حركية مترابطة تسهل فهم أن قوة التذكر تعتمد على كثافة العلاقات لا على التخزين المعزول

يمكن القول إذن بأن السرد عند باربرا أوكلي يشتغل في مستويين متكاملين: معرفي وتعليمي في آن واحد، فلا يقتصر على نقل المفاهيم العلمية، وإنما يعيد تشكيل طريقة تلقيها وفهمها. فمن جهة، يربط السرد المعرفي المفاهيم المجردة بسياقات واقعية ورمزية قريبة من خبرة المتعلم، مما يجعل المعرفة أكثر قابلية للتصور والاستيعاب ويخفف من طابعها التجريدي. ومن جهة أخرى، يوجه السرد التعليمي المتعلم نحو تبني استراتيجيات تعلم أكثر فاعلية، عبر تحويله من متلق سلبي إلى متعلم إيجابي مشارك في بناء الفهم والتعلم. ويظهر جلياً أن أهمية مقاربة أوكلي في أنها لا تفصل

الفصل الثاني: السرد المعرفي والتعليمي في كتاب "تعلّم كيف تتعلّم" لباربرا أوكلي.

بين شرح المعرفة وتعليم كيفية التعلم، إذ تدمجها داخل بنية سردية واحدة تجعل العلم تجربة ذهنية حية بدل أن يكون مجرد معلومات معزولة.

خاتمة.

وفي الختام، نحمد الله تعالى ونشكره على توفيقه لنا في إنجاز هذه الدراسة العلمية، التي حاولنا من خلالها الإحاطة بجوانب الموضوع قدر المستطاع، وفق منهجية بحثية واضحة، وقد كانت هذه التجربة فرصة علمية مهمة لاكتساب معارف جديدة وتطوير مهارات التحليل والبحث، رغم ما واجهناه من صعوبات وتحديات خلال إنجاز هذا العمل، ولا ندعي الكمال في هذا البحث، فهو جهد بشري قابل للنقد والمراجعة، ونرجوا أن نكون قد وفّقنا في تقديمه بالشكل الذي يليق به ويعكس الجهد المبذول فيه، ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون خطوة أولى في مسار علمي قائم على الاجتهاد والتطوير المستمر.



قائمة المصادر والمراجع

. المصادر:

1. باربرا أوكللي وآخرون، تعلم كيف تتعلم، تر: إيمان سمير، مر: د. داود سليمان القرنة، دار قنديل للطباعة والنشر، د-ط.
2. المراجع الأجنبية:
 - الكتب المترجمة:
 1. جيرار جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.
 2. جيرالد برينس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، دار ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 2003.
 3. رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1993.
 4. شلوميث ريمون كينان، القصة الرواية: الشعرية المعاصرة، تر: لحسن أحمامة، دار الثقافة – الدرا البيضاء، ط1، 1995.
 - الكتب غير المترجمة:
 1. Herman, D. (2003). Interdisciplinary Narrative Theory: A Sketch. In D Herman (Ed.), Narrative Theory and the Cognitive Sciences (pp. 1-2). CSLI Publications
 2. A. J. Greimas, Structural Semantics: An Attempt at a Method, University of Nebraska Press, 1983, passim
 3. Mark Turner, The Literary Mind: The Origins of Thought and Language, (New York: Oxford University Press, 1996), Chapter 1: (Bedtime with Shahrazad) & Chapter 4: (Figured Tales)
 - المقالات الالكترونية غير المترجمة:
 1. Boston University. (2022, Summer). The power of storytelling. sites.bu.edu/impact/previous-issues/impact-summer-/Impact2022/the-power-of-storytelling
 2. Dahlstrom, M. F. (2014). Using narratives and storytelling to communicate science with nonexpert audiences. Proceedings of the National Academy of Sciences, from <https://doi.org/10.1073/pnas.1320645111>
 3. Hassan, A., & Oakley, B. (2025). The poetics of science narration in educational literature. Educational Sciences, 5(3), 116. <https://doi.org/10.3390/xxxxx>
 4. Katherine J. Morris, "Dramatic Irony, Narrative and the External Perspective," Royal Institute of Philosophy Supplements 86 (2020): 177-204
 5. NAEYC. (2024, December). Introduction: Voices of Practitioners. National Association for the Education of Young Children. www.naeyc.org/resources/pubs/vop/dec2024/intro

3. المراجع العربية:

• الكتب:

1. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990.
2. حميد الحمداني، بنية النص السردي: من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1991.
3. سعيد يقطين، الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.
4. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، 2005.
5. عاطف الصيفي، المعلم واستراتيجيات التعليم الحديث، دار أسامة للنشر، عمان – الأردن، ط1، 2009.
6. محمد عبد السلام، استراتيجيات التدريس الحديث: دليل المعلم الناجح، مكتبة نور، د ط، 2021.

• المقالات الإلكترونية:

1. منى السامري، "طريقة السرد القصصي كاستراتيجية لعام 2026 في التعلم النشط". إحصائي | لتحليل البيانات، 14 يناير 2026، <https://ehsaee.com>.
2. نادية هناوي، "ديفيد هيرمان والسرد المعرفي"، القدس العربي، 9 يوليو 2020، <https://www.alquds.co.uk>.

• المحاضرات الجامعية:

1. عيسى طيبي، محاضرات مادة: تحليل الخطاب النقدي، محاضرة مقدمة لطلبة الماستر -1-، تخصص نقد حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة البويرة، 2021-2022.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
4-2	مقدمة
	الفصل الأول
35 – 6	الفصل الأول: السرد من سياق التخيل إلى أفق المعرفة
6	ب. تمهيد
7	2. السرد
7	1.1. مفهوم السرد
10	2.1. الجهاز السردى
10	1.2.1. عناصر العملية السردية
14	2.2.1. التبئير وإدارة المعرفة السردية
16	3.2.1. الزمنية السردية وإيقاع الخطاب
18	4.2.1. الهندسة المكانية وإدارة الفضاء
19	5.2.1. الشخصية وإدارة الأدوار في الخطاب
21	2. السرد المعرفى والتعليمي
22	1.2. التمييز بين السرد المعرفى، السرد العلمى، السرد التعليمي
22	1.1.2. السرد المعرفى
23	2.1.2. السرد العلمى
25	3.1.2. السرد التعليمي
26	4.1.2. العلاقة بين السرد المعرفى، السرد العلمى، السرد التعليمي
27	2.2. سردنة العلم: من الضرورة النظرية إلى الكفاءة التطبيقية (الإرهصات والنظريات)
29	3.2. آلية تسجيل المعرفة العلمية والتعليمية
29	1.3.2. الرابط البنوي والوظيفي بين السرد والتسجيل المعرفي
30	2.3.2. الأشكال السردية وتوظيفاتها التربوية
31	3.3.2. استراتيجيات سردنة العلم وآليات تسجيله

35	• خلاصة
----	---------

الفصل الثاني	
74 - 37	الفصل الثاني: السرد المعرفي والتعليمي في كتاب تعلم كيف تتعلم
37	أ. تمهيد
40	1. السرد التعليمي في كتاب تعلم كيف تتعلم
40	1.1. رحلة باربرا من كره الرياضيات إلى أستاذة هندسة
45	2.1. ماغنوس الفتى المشتت ضد كاسباروف
48	3.1. سانتياجو رامون إي خال، من الولد الشرير إلى جائزة نوبل
52	4.1. السيد يوتيوب: يوليوس ييجو والتعلم الذاتي
55	5.1. تيري الذي أوشك أن يحرق المدرسة
59	2. السرد المعرفي في كتاب تعلم كيف تتعلم
60	1.2. الكرة والدبابيس ومسارات تفكير الدماغ
62	2.2. الزومبي الودودون والعادات التلقائية
65	3.2. سلاسل الدماغ والمرح مع المخلوقات الفضائية
69	4.2. كيفية بناء جدار من طوب التعلم
71	5.2. أخطبوطات الانتباه الخاصة بك
74	• خلاصة
خاتمة	
77-76	قائمة المصادر والمراجع
79	الملحق
83	فهرس الموضوعات
88	